مجلة تدبر

خبرات طيبة للبحوث والدراسات

رخصة إعلامية: 149603

مجلة دورية علمية محكمة تعنى بتحكيم ونشر البحوث والدراسات المتصلة بمجالات تدبر القرآن الكريم، وتصدر مرتين في السنة

العدد الثامن عشر - المجلد التاسع - السنة التاسعة - رجب ١٤٤٦هـ / يناير ٢٠٢٥م

معتمدة في معامل أرسيف لعام 2024

ردمد طباعة: 7642 - 1658

موضوعات العدد:

- سُنَّةُ الِاعْتِبَارِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَآثَارُهَا التَّرْبَوِيَّةُ
  د.مَهْدِي مَاجِد رِزْق أَحْمَد
- الصَّالِحُونَ وَالْمُصْلِحُونَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
  أ. حَسَن بْنُ صَالِح عَبُّود الْجُهَنِي
- أَثَرُ مَقَاصِدِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي التَّفْسِيرِ وَنَمَاذِجُ تَطْبِيقِيَّةٌ مِنْ "تَفْسِيرِ الْمَنَارِ" وَ"تَفْسِيرِ التَّحْرِيرِ وَالتَّنْوِيرِ"
  أ. مَيْمونَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْقَادِرِ بْنِ سُلَيْمانَ الْحِفْظِي
- الرَّانُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مَفْهُومُهُ وَأَسْبَابُهُ وَعِلَاجُهُ -دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ-
  د.جَمَال بْنُ مُحَيْمِيد الرُّوَيْضِي
- أُسْلُوبُ الْمُقَابَلَةِ فِي سُورَةِ النَّحْلِ -دِرَاسَةٌ تَفْسِيرِيَّةٌ تَدَبُّرِيَّةٌ-
  أ.د. أَحْمَد مُحَمَّد الشَّرْقَاوِيُّ
- حَذْفُ التَّقَابُلِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لِابْنِ عَرَفَةَ -جَمْعًا وَدِرَاسَةً-
  د. خَدِيجَةُ بِنْتُ عِصَام رَيْحَان
  د. زَيْنَبُ بِنْتُ عِصَام رَيْحَان
- تَقْرِيرُ رِسَالَةِ «دُكْتُورَاه» تَوْجِيهُ أَقْوَالِ السَّلَفِ فِي التَّفْسِيرِ -دِرَاسَةٌ تَأْصِيلِيَّةٌ-
  الْبَاحِثَةُ: د. عَائِشَةُ بِنْتُ يَعْقُوبَ آلِ عَبْدِ اللَّطِيفِ
  الْمُشْرِفَةُ عَلَى الرِّسَالَةِ: أ.د. مُنِيرَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ الدُّوسَرِي
- تَقْرِيرٌ عَنْ كِتَابِ «نُقْطَةُ التَحَوُّلِ» "عِنَايَتُكَ بِالْقُرْآنِ بِدَايَةُ حَيَاةٍ جَدِيدَةٍ"
  لِمُؤَلِّفِهِ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّد عَسِيري
- تَقْرِيرٌ عَنْ مُؤْتَمَرِ هِدَايَاتِ الْقُرْآنِ فِي بِنَاءِ الْإِنْسَانِ ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾
  الْجِهَةُ الْمُنَظِّمَةُ: مَرْكَزُ مَكَّةَ الْعَالَمِيُّ لِلْهُدَى الْقُرْآنِيِّ بِمَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ

ISSN Arcif Analytics iD ORCID INDEX COPERNICUS INTERNATIONAL WorldCat Google scholar معرفة e-Marefa دار المنظومة DAR ALMANDUMAH Crossref

مجلة تدبر
عدد خاص

حَذْفُ التَّقَابُلِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لِابْنِ عَرَفَةَ -جَمْعًا وَدِرَاسَةً-

(Issn-L): 1658-7642
DOI Prefix 10.62488
معتمدة في معامل أرسيف لعام 2024

Hazf Attaqabul "Reciprocal Ellipsis" in the Explication of the Qur'an by Ibn Arfa' – Collection and Study

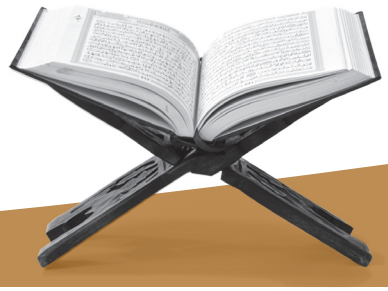

د. خَدِيجَةُ بِنْتُ عِصَام رَيْحَان
د. زَيْنَبُ بِنْتُ عِصَام رَيْحَان
Dr. Khadijah Issam Rayhan & Dr. Zainab Issam Rayhan

قدم للتحكيم في المجلة بتأريخ: ١١-١١-١٤٤٥هـ، الموافق ١٩-٠٥-٢٠٢٤م
قبل للنشر بتأريخ: ٢٦-١٢-١٤٤٦هـ، الموافق: ٢-٧-٢٠٢٤م
نشر في العدد الثامن عشر: رجب ١٤٤٦هـ، يناير ٢٠٢٥م
مدة التحكيم إلى ورقة النشر: (٤٤ يومًا).
المدة الإجمالية مع النشر: (٢٤١ يومًا).
متوسط مدة التحكيم والنشر في المجلة: (١٤٣ يومًا).

د. خَدِيجَةُ بِنْتُ عِصَام رَيْحَان
مواليد: ١٩٩٢م بمحافظة جدة - المملكة العربية السعودية.
حصلت على شهادة البكالوريوس- كلية الدعوة وأصول الدين- قسمُ الكتابِ والسُّنةِ- جامعةُ أمِّ القرى، بمدينة: مكة المكرَّمة، عام ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.
حصلت على درجة الماجستير- قسمُ التفسيرِ وعلومِ القرآنِ، كليةُ الدعوةِ وأصولِ الدين، جامعة أمُّ القرى، عام ١٤٤١هـ، بأُطْرُوحتِها: «التساؤلاتُ التي أوردها ابن عثيمين ﷺ في تفسيره وأجابَ عنها في تفسيرِ سورةِ الرُّومِ ولقمان والسجدةِ- جمعًا ودراسةً».
حصلت على درجةِ الدكتوراه- قسمُ التفسيرِ وعلومِ القرآنِ- كليةُ الدعوةِ وأصولِ الدِّين، جامعة أمِّ القرى، عام ١٤٤٤هـ بأطروحتِها: «الاحتباكُ و أثرُهُ في بيانِ المعنى في كتابِ نظمِ الدُّررِ للبقاعي- جمعًا ودراسةً- من أولِ سورةِ السجدةِ إلى آخرِ القرآنِ.

ومن نتاجها العلمي:
ريحانُ، خديجةُ بنتُ عصام. «الإعجازُ بالصُّرفةِ بين الحقيقةِ والبطلانِ - دراسةٌ نقديَّةٌ»، مجلة الدِّراسات الإسلاميّة والبحوثِ الأكاديميَّة، مج١٨، ع١٠٧، (٢٠٢٣م): ٢٠٩-٢٥٨.
ريحان، خديجةُ بنتُ عصام. «الاختلافُ في أوجهِ المناسبةِ بين آياتِ النَّظمِ الحكيمِ و أثرُهُ في اختلاف المفسِّرين (الآيات ٨٣-٨٥ من سورة طه أنموذجًا)- دراسة تأصيلية»، مجلةُ مؤتمرِ مكةِ الدُّولي الثالثِ للدراساتِ الإسلاميةِ ودورها في خدمةِ الإنسانيّةِ، مج١، (عدد خاص)، ١-١٦.
ريحانُ، خديجةُ بنتُ عصام. «بلاغةُ الطردِ والعكسِ في السِّياقِ القرآني- جمعًا ودراسةً». مجلةُ تبيان، مج١، ع٤٧، (٢٠٢٤م): ٤٠٤-٤٦٣.

google scholar
web of science
orcid
البريد الشبكي

دكتوراه في التفسيرِ وعلومِ القرآنِ- قِسمُ الكتابِ والسُّنَّةِ- جامعةُ أمِّ القُرى

PhD in Tafsir and Qur'anic Sciences - Department of the Qur'an and Sunnah - Umm Al-Qura University

د. زَيْنَبُ بِنْتُ عِصَام رَيْحَان
مواليد: ١٩٩٣م بمدينة مكة- المملكة العربية السعودية.
حصلت على شهادة البكالوريوس- كلية الدعوة وأصول الدين- قسم الكتاب والسنة- جامعة أم القرى، بمدينة: مكة المكرمة، عام ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.
حصلت على درجة الماجستير- قسم التَّفسيرِ وعلوم القرآنِ- كليةُ الدعوةِ وأصولِ الدينِ- جامعةُ أمِّ القرى، عام ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م، بأُطروحتها: «التساؤلاتُ التي أوْردها ابنُ عثيمين r في تفسيره وأجاب عنها في تفسير سورتي القَصَص والعنكبوتِ- جمعًا ودراسةً».
حصلت على درجة الدكتوراه- قسم التفسيرِ وعلوم القرآنِ- كلية الدعوةِ وأصولِ الدِّين- جامعةُ أمِّ القرى، عام ١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م بأطروحتها: «الاحتباكُ و أثرُهُ في بيانِ المعْنى في كتابِ نظمِ الدررِ للبقاعي- جمعًا ودراسةً- من أولِ القرآنِ إلى آخرِ سورة لقمان».

ومن نتاجها العلمي:
ريحانُ، زينب بنت عصام. «صفاتُ المتَّقينِ وجزاؤهُم في ضوءِ سورةِ آلِ عمران من آية رقم: (١٣٣) إلى آية رقم (١٣٦)». مجلة الحكمة.
ريحان، زينب بنت عصام. «معارضةُ القرآنِ الكريمِ». مجلةُ الدراساتِ الإسلاميّةِ والبحوثِ الأكاديميّة، مج١٨، ع١٠٧، (٢٠٢٣م): ٤٩٥-٥٣٠.
ريحان، زينب بنت عصام. «الاختلافُ في أوجهِ المناسبةِ بين آياتِ النظمِ الحكيمِ و أثرُهُ في اختلافِ المفسِّرين، الآيات (٨٣-٨٥ من سورة طه أنموذجًا) - دراسةٌ تأصيليةٌ». مجلةُ مؤتمرِ مكّة الدُّولي الثالثِ للدراساتِ الإسلاميةِ ودورُها في خدمةِ الإنسانيّةِ. مج١، (عدد خاص)، ١-١٦.
ريحان، زينب بنت عصام. «بلاغةُ الطَّرد والعكسِ في السياقِ القرآني- جمعًا ودراسةً». مجلةُ تبيان، مج١، ع٤٧، (٢٠٢٤م): ٤٠٤-٤٦٣.

google scholar
web of science
orcid
البريد الشبكي

نُشر هذا البحث وفقًا لشروط رخصة المشاع الإبداعي:

CREATIVE COMMONS

مرخصة بموجب: نَسب المُصنَّف – غير تجاري ٤,٠ دولي

(Attribution- Non-Commercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0))

ويتضمن الترخيص أن محتوى البحث متاح للاستخدام العام؛ دون الاستخدام التجاري، مع التقييد بالإشارة إلى المجلة وصاحب البحث، مع ضرورة توفير رابط الترخيص، ورابط البحث على موقع المجلة، وبيان إذا ما أُجريت أي تعديلات على العمل.

للاقتباس بنظام دليل شيكاغو للتوثيق:

ريحان، خديجة بنت عصام، و ريحان، زينب بنت عصام، "حَذْفُ التَّقابُلِ في تفسيرِ القرْآنِ الكريمِ لابن عَرفةَ- جمعًا ودراسةً". ٢٠٢٥. مجلة تدبر ٩ (١٨): ٣٥١-٤٧٢.

https://tadabburmag.sa/index.php/tadabburmag/article/view/119

This research has been published as per terms and conditions of the creative commons license:

Licensed under:

(Attribution- Non-Commercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0))

The license has contained the availability of the research to the public use except with the commercial usage, along with adherence to the reference to the journal, the owner of the researcher, the necessity of the availability of the license link, the link of the research on the website of the journal, as well as indicating to any changes made to the work.

For citing based on Chicago Guide for Documentation:

Rayhan, Khadijah Issam & Rayhan, Zainab Issam, "Hazf Attaqabul 'Reciprocal Ellipsis' in the Explication of the Qur'an by Ibn Arfa' - Collection and Study". 2025. Tadabbur Journal 9 (18): 351-472.

https://tadabburmag.sa/index.php/tadabburmag/article/view/119

المُسْتَخْلَص

موضوعُ البحثِ:

حذفُ التَّقابُل في تفسيرِ القرآنِ الكريمِ لابنِ عَرفةَ- جمعًا ودراسةً

حدودُ البحثِ:

شواهدُ «حذف التَّقابُل» التي نصَّ عليها الإمام ابن عرفة في تفسيره وشرحها شرحًا موجزًا، وذلك مِن أوَّل سُورَة الفاتحة إلىٰ آخِر القرآن الكريم، وعددُها (٣٢) شاهدًا.

أهداف البحث:

التَّعريفُ بالإمام ابنِ عرفةَ ﵀، وبيانُ منهجه في تفسيره في إيراد أسلوب (حذف التَّقابُل)، ودراسةُ شواهده التي نصَّ عليها في تفسيره وشرحها شرحًا موجزًا، وذلك مِن أوَّل سُورَة الفاتحة إلىٰ آخِر القرآن الكريم، وعددُها (٣٢) شاهدًا.

منهج البحث:

اعتمد البحثُ المنهجَ الاستقرائي والمنهجَ التاريخي والوصفي.

أبرزُ نتائجِ البحثِ:

خَلَصت الدِّراسةُ إلىٰ جملة نتائجَ؛ مِن أهمِّها: أنَّ الإمامَ ابنَ عرفةَ مِن أوائل المفسِّرين الذين أشاروا إلىٰ أسلوب (حذف التَّقابُل)، وصرَّحوا باسْمه فنًّا مُستقلًّا، وأوردوا له شواهدَ مُتعدِّدةً من القرآن الكريم، وبينما تَفرَّد تفسيرُ ابن عرفة عن سائر التَّفاسير بتسمية هذا الفنِّ (حذف التَّقابُل) سمَّته جُلُّ التفاسير بـ(الاحتباك).

أبرز التوصيات:

العنايةُ بآثار ابن عرفة المخطوطةِ، وتحقيقها تحقيقًا علميًّا رصينًا مُتقَنًا. والعنايةُ بتفسيرِهِ؛ لأنه يحوي الكثيرَ مِن العلوم والمسائل الجديرة بالبحث. ودراسة أسلوب «حذف التَّقابُل» عند المفسِّرين.

الخُلاصة:

كانت منهجيةُ ابن عرفة في إيراده شواهد (حذف التَّقابُل) متباينةً بين إيجازٍ وإطنابٍ وتفصيلٍ وإجمالٍ؛ لكَون تفسيرِه تَقييداتٍ قيَّدها تلامذتُه عنه، وكلُّ شاهد كان له مَقامٌ وحالٌ يختلف عن الآخَر، ولعلَّ بعضَها كان جوابًا عن أسئلة طلَبته.

الكلمات المفتاحية:

الاحتباك، تفسير، ابن عرفة، التَّقابل، القرآن.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

Abstract

Research Topic: Hazf Attaqabul "Reciprocal Ellipsis" in the Explication of the Qur'an by Ibn Arfa' – Collection and Study

Research Boundaries: The citations which Al-Imam Ibn Arfa' mentioned in his explication, providing a brief explanation of them, from the beginning of Surah Al-Fatiha to the end of the Quran, totaling (32) citations.

Research Objectives: The study aimed to introduce Al-Imam Ibn 'Arfah, and elucidate his methodology in his explication by discussing the technique of (Hazf Attaqabul). It also aimed to examine the citations he mentioned in his explication, providing a brief explanation of them, from the beginning of Surah Al-Fatiha to the end of the Quran, totaling (32) citations.

Approach: The research adopted the inductive approach and the historical and descriptive methodology.

The most important research results and recommendations:

The study concluded with several results, including: that Al-Imam Ibn 'Arfah was among the first explicators to indicate the technique of "Hazf Attaqabul" and he declared it as an independent art form, providing multiple citations from the Quran. Ibn 'Arfah's explication stood out from others by naming this technique as "Hazf Attaqabul" while most explicators referred to it as Al-Ihtibak "Reciprocal Ellipsis".

Recommendations: Taking care of the manuscripts of Ibn `Arafa and scholarly, and meticulously editing them as well as paying attention to his explication of the Quran, as it contains many valuable sciences and issues worth researching, besides the study of "Hazf Attaqabul" (Reciprocal Ellipsis) among explicators.

Conclusion: Ibn 'Arfah's methodology in presenting evidence of "Hazf Attaqabul" varied between briefness, elaboration, detail, and generality, as his explication was sort of notes written down by his students. Each piece of evidence had its own significance and context, differing from others, and some of them served as answers to questions raised by his students.

Keywords: Al-Ihtibak, Ibn 'Arfah, explication, Reciprocal, Qur'an.

Hazf Attaqabul "Reciprocal Ellipsis" in the Explication of the Qur'an by Ibn Arfa' – Collection and Study

By

Dr. Khadijah Issam Rayhan & Dr. Zainab Issam Rayhan

PhD in Tafsir and Qur'anic Sciences - Department of the Qur'an and Sunnah - Umm Al-Qura University

First Researcher

The biography

Date and Place of Birth: ***Born in 1992 in Jeddah, Saudi Arabia.***

Obtained a Bachelor's degree from the Faculty of Da'wah and Fundamentals of Religion, Department of Qur'an and Sunnah, Umm al-Qura University, Mecca, in the year 1436 AH (2015 AD).

Obtained the Master's degree in Tafsir and Qur'anic Sciences from the Faculty of Da'wah and Fundamentals of Religion, Umm Al-Qura University, in 1441 AH. Thesis was titled: "The Questions Posed by Ibn Uthaymin – May Allah Have Mercy on Him – in His Tafsir and the Answers he provided in the Tafsir of Surah Ar-Rum, Luqman, and As-Sajda – Collection and Study."

Obtained the PhD in Tafsir and Qur'anic Sciences from the Faculty of Da'wah and Fundamentals of Religion, Umm Al-Qura University, in 1444 AH. The doctoral thesis was titled: "Al-Ihtibak and Its Impact on Clarifying Meaning in the Book of "Nazm al-Durar" by Al-Buqai – Collection and Study – from the beginning of Surah As-Sajda to the end of the Qur'an."

Some Scholarly Output:

1- Rayhan, Khadijah Issam. "The Miracle of "As-Sarfah" Between Truth and Falsehood – A Critical Study. "Journal of Islamic Studies and Academic Research, Vol.... , Issue 107, (2022): 17 - 109.

2- Rayhan, Khadijah Issam. "The difference in the aspects of science by which the connection of the parts of the Qur'an to each other are known and its impact on the difference among Exegetists: Verses 83-85 of Surat Taha as a model) - A Fundamental Study, "Journal of the Third International Makkah Conference on

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

Islamic Studies and its Role in Serving Humanity."
3- Rayhan, Khadijah Issam. "The eloquence of exclusion and inversion in the Qur'anic context." – Collection and Study." Tibyan Journal.

google scholar
web of science
orcid
البريـد الشبكـي

Second Researcher

The biography

Date and Place of Birth: ***Born in 1993 in Mecca, Saudi Arabia.***

Obtained a Bachelor's degree from the Faculty of Da'wah and Fundamentals of Religion, Department of Qur'an and Sunnah, Umm al-Qura University, Mecca, in the year 1436 AH (2015 AD).

Obtained the Master's degree in Tafsir and Qur'anic Sciences from the Faculty of Da'wah and Fundamentals of Religion, Umm Al-Qura University, in 1441 AH. Thesis was titled: "The Questions Posed by Ibn Uthaymin – May Allah Have Mercy on Him – in His Tafsir and the Answers he provided in the Tafsir of Surah Al-Qasas and Al- 'Ankabut – Collection and Study."

Obtained the PhD in Tafsir and Qur'anic Sciences from the Faculty of Da'wah and Fundamentals of Religion, Umm Al-Qura University, in 1444 AH. The doctoral thesis was titled: "Al-Ihtibak and Its Impact on Clarifying Meaning in the Book of "Nazm al-Durar" by Al-Buqai – Collection and Study – from the beginning of the Qur'an to the end of Surah Luqman."

Some Scholarly Output:

1- Rayhan, Zainab Issam. "The Attributes of the Pious and Their Reward in the Light of Surah Al-Imran, Verses 133 to 136." Al-Hikmah Journal, Vol. 6, Issue 11, (2022): 17 - 109.

2- Rayhan, Zainab Issam. "Emulating the Noble Qur'an." Journal of Islamic Studies and Academic Research.

3- "The Care of Ibn Arfa's Manuscripts, Bringing Them to Light, and Authenticating Them with Rigorous and Scholarly Precision. Also, the Care of His Tafsir, which Contains Many Sciences and Issues Worthy of Study, and the Study of the method of "Hazf Attaqabul" according to the exegetists.

4- Citations of Hazf Attaqabul as Stated in His Tafsir, with a brief explanation.

Received: 5 September 2024
Accepted: 28 October 2024
Published online: 15 January 2025

google scholar
web of science
orcid
البريد الشبكي

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

المُقَدِّمَةُ

الحمدُ اللهِ ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلام علىٰ خَيرِ الخَلْق أجمعين، محمدٍ النَّبيِ الأُمِّي الأمين.

وبعدُ..

فإنَّه ﷻ -لِعظيمِ حكمته وكمالِ عِلمه- قد اختارَ أنْ يُنزِلَ كتابَه في أُمَّةٍ عربيةٍ بِضاعتُها الكلامُ، تَتفاخر به وتَتنافس عليه، وتُحاكم النَّاسَ وتصنِّفهم بناءً علىٰ جَزالتهم وفَصاحتهم فيه، ويَعلُو شأنُ قَومٍ بجزالة منطوقهم وفصاحتهم، ويَتردَّىٰ آخَرون لبُلالة بضاعتهم فيه؛ فقد ورد في التَّاريخ أنَّ العربَ -في جاهليَّتهم- كانوا إذا قال الرَّجلُ منهم الشِّعرَ لا يَعبأ به ولا يُنشِده أحدًا حتىٰ يأتيَ مكَّةَ في موسم الحجِّ؛ فيَعرِضَه علىٰ أندية قُريش، فإنِ استحسَنوه رُوِيَ وكان فخرًا لقائله، وعُلِّقَ علىٰ رُكنٍ من أركان الكعبة، وإنْ لم يَستحسنوه طُرح ولم يُعبأْ به[1].

واستمرَّتْ تلك الحِقبةُ الزَّمنية التي بلغ فيها العربُ مبلغًا مِن الفصاحة والبيان يشار إليه بالبَنان؛ فكانوا قادرين علىٰ تمييز الصَّحيح من السَّقيم والبليغ من المُنحطِّ، إلىٰ أن جاء القرآنُ الكريم مِن جنس ما هُم بارعون فيه؛ فوقفوا أمام فصاحته وبلاغته عاجزين مندهشين، مُذعِنين مُقرِّين بأنَّه لا يَتأتَّىٰ لبَشَرٍ أنْ يقولَ مِثلَه، ولا يمكن إلاَّ أنْ يكونَ مِن عند الله العزيز الحكيم.

والمتأمِّلُ الذي أَنعَم النَّظرَ يجد العربَ -لِشِدَّةِ اندهاشهم وإعجابِهم به- قد عَلِموا وأيقنوا أنَّ هذا الكتابَ مُنزَّلٌ من عند الله، لكنَّهم انقسموا بين مُعترِفٍ

(١) عبد القادر بن عمر البغدادي، «خِزانةُ الأدبِ ولبُّ لبابِ لسانِ العربِ»، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (ط٤، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٨ هـ-١٩٩٧م)، ١: ١٢٦.

في ظاهره وباطنه مُصرِّحٍ بذلك، وبين معترفٍ في باطنه مُنكِرٍ في ظاهره؛ لأسبابٍ مختلفة؛ كالكِبر والعِناد؛ مَخافةً على الرِّياسة والسُّلطة؛ فما كان منهم إلاَّ أنْ يَتواصَوْا فيما بينهم قائلين: ﴿لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [فصلت:٢٦]؛ إيقانًا منهم بأنَّه كلامٌ حقٌّ مُعجِزٌ، تُذعِن له النَّفسُ عند سماعه إقرارًا وإيمانًا وتصديقًا به.

ولَمَّا كان هذا الكتابُ الحكيم قد خرج على أعلى درجات الفصاحة والبيان، حاويًا بين طَيَّاته أبلغَ الأساليب في السَّبْك والحَبْك وأرفعَها؛ منها على سبيل المثال لا الحصر «حذفُ التَّقابُل»، الذي يستبين به وجهٌ مِن أوجُه الإعجاز البلاغي والبياني في حَبكَةٍ بديعة مُعجِزة؛ كان حَريًّا بأنْ يُسلَّطَ الضَّوءُ عليه، وأنْ تُدرَسَ معانيه وتُبيَّنَ.

ومن هذا المُنطَلق قرَّرنا أن نُسلِّطَ الضَّوء على هذا الأسلوب عند الإمام ابن عرفة أحدِ أوائلِ المُشيرين لهذا الفنِّ البلاغي أسلوبًا ومُسمًّى. واللهُ المُوفِّق والمُعين، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد.

◆ حدود البحث:

شواهد «حذف التَّقابُل»، التي نصَّ عليها الإمامُ ابن عرفة ﵀ باسْمها في تفسيره؛ مِن أوَّل سُورة الفاتحة إلى آخِر القرآن الكريم، وعددُها (٣٢) شاهدًا، مع بيانٍ مُوجَز لها.

◆ أهميةُ الموضوعِ وأسبابُ اختياره:

١- تعلُّقُه بأشرفِ كتاب وأعظمِ كلام، وهو كلام الله ﷻ.

٢- أنَّ ميدان الدِّراسة تفسيرُ عَلَمٍ جليلٍ، ذي سيرة علمية عَطِرة، ولتفسيره مكانةٌ علمية رفيعة.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

٣- أنَّ هـذا البحـثَ يُبحِـر في فـنٍّ بلاغـيٍ رفيـعِ القَـدْر، شـديدِ الرَّوعـة، يبرهـن مِـن جهـةٍ علـىٰ عَظَمـة كلام الله، ومِـن أخـرىٰ علـىٰ عَظَمـة اللُّغـةِ العربيـة، لغـةِ القـرآن الـمُعجِز.

٤- تميُّـزُ حـذف التَّقابُـل بحاجتـه إلـىٰ حِـدَّةِ الذِّهـن وتَوقُّـده، واسـتجماعِ الفكر والتَّركيـز لفَهْمـه؛ فهـو فـنٌّ بلاغـي مميَّـز، فيـه إعمـالٌ للذِّهـن لفَـكِّ أركانـه وفَهـمِ معانيـه، وهـو حَـريٌّ بـأنْ يُـدرَسَ ويُسـلَّط الضَّـوءُ عليـه.

مشكلة البحث:

ماهيَّـةُ أسـلوب «حـذف التَّقابُـل»، وقيمتُـه البلاغيـة، وهـل كان للإمـامِ ابنِ عرفـة منهـجٌ خـاصٌّ في إيـراده شـواهد هـذا الأسـلوب مـن القـرآن الكريـم.

أسئلة البحث:

١- ما هو أسلوب حذفُ التَّقابل؟ وما هي قيمته البلاغية؟

٢- هـل كان للإمـام ابن عرفـة منهـجٌ خـاصٌّ في إيـراده هـذا الأسـلوب البلاغـي؟

٣- مـا مـرادُ الإمـام ابن عرفـة مـن شـواهد «حـذف التقابـل» التـي أوردهـا في تفسـيره؟

أهداف البحث:

١- تحرير الـمُصطلَح محلِّ الدِّراسة، وبيان مرادفاته.

٢- التَّعريج علىٰ القِيمة البلاغية لأسلوب «حذف التقابل».

٣- بيان منهج الإمام ابن عرفة في إيراد هذا الأسلوب البلاغي في تفسيره.

٤- دراسـةُ شـواهد هـذا الأسـلوب البلاغـي عنـد الإمـام ابن عرفـة في تفسـيره، وشـرحُها وبيانُهـا بيانًـا مُوجَـزًا وواضحًـا.

منهج البحث:

اعتمد هذا البحثُ على المنهج الوصفي والتَّاريخي والمنهج الاستنباطي في تسليط الضَّوء على المصطلح وما يتعلَّق به، وفي التَّعريفِ بالإمام ابن عرفة ومنهجه في إيراد حذف التَّقابُل، وفي جمع شواهد (حذف التقابل) من تفسير ابن عرفة، وترتيبها حسب ترتيب السور في القرآن الكريم، ثم دراسة أسلوب (حذف التقابل) في كل شاهد دراسةً بلاغيةً.

إجراءات البحث:

١- كتابة الآيات بالرَّسم العثماني ضِمنَ أقواسٍ مُزهَّرة.

٢- تخريج الأحاديث مِن مَظانِّها؛ فإنْ كان الحديثُ في الصَّحيحَين أو أحدهما اكتفينا بهما، وإنْ لم يكنْ فيهما فمِن السُّنَن الأربعة، فإنْ لم يكن فيها خرَّجناه مِن سائر كتب الحديث المعتمَدة.

٣- التَّرجمة للأعلام غير المشهورين المتعلِّقين بصُلب البحث بحسَب ما تقتضيه الحاجةُ.

٤- ضبطُ كلِّ ما احتاج لضبط بالتَّشكيل؛ كي لا يلتبسَ معناه أو نُطقُه.

ذِكر بيانات الكتاب كاملةً في الهامش عند أوَّل ورودٍ له في البحث.

الدراسات السابقة:

لم نقفْ على مَن دَرَس حذفَ التَّقابُل عند ابنِ عرفة ﵀ بحسَب حدود بحثنا.

خطة البحث:

يتكوَّن هذا البحثُ من مقدِّمةٍ وتمهيدٍ ومبحثَين وخاتمةٍ وفهارسَ؛ وذلك على النَّحو الآتي:

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

المقدِّمة، وتشتمل على: أهميَّةِ البحث، وأهداف الدِّراسة، وحدود البحث، والدِّراسات السَّابقة، ومخطَّط البحث، ومنهجه.

التَّمهيد: التَّعريف بمصطلح حذف التَّقابُل في اللُّغة والاصطلاح، وبيان مرادفاته عند أهل العلم، وقِيمته وأهميته.

المبحث الأول: التَّعريف بابنِ عرفة، ومنهجِه في إيراد حذف التَّقابُل.

وفيه مَطلَبان:

المطلب الأول: التَّعريف بابن عرفة.

المطلب الثَّاني: منهج ابن عرفة في إيراد حذف التَّقابُل.

المبحث الثَّاني: شواهدُ حذف التَّقابُل عند ابن عرفة.

وفيه إحدى وثلاثون مسألةً.

الخاتمة، وفيها: أهمُّ النَّتائج والتَّوصيات.

ثبت المصادر والمراجع.

التَّمهيد

التَّعريف بمصطلح حذف التَّقابُل في اللُّغة والاصطلاح وبيان مرادفاته عند أهل العلم

الحذفُ لغةً: «قَطْفُ الشَّيْء مِن الطَّرَفِ»[٢]، و«حذفُ الشَّيء إسقاطُه. يقال: حَذَفْتُ مِن شَعْري ومِن ذَنَبِ الدَّابَّةِ؛ أي أَخَذتُ»[٣].

والتَّقابُلُ لغةً: مِن «(قَبَلَ) القافُ والباءُ واللَّامُ أَصْلٌ واحدٌ صحيحٌ يدلُّ كَلِمُه كُلُّهَا علىٰ مُواجَهةِ الشَّيءِ لِلشَّيءِ، ويَتفرَّعُ بعْد ذلك»[٤].

«وقابَلتُها: جَعلتُ لها قِبالَين؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما يُقبِل علىٰ الآخَرَ»[٥].

والمُمعِنُ في النَّظر يجدُ أنَّ تعريفَ المُركَّب (حَذْف التَّقابُل) في اللُّغة يكون بمعنىٰ: تَواجُهِ مَقطُوفَين أو مُسقَطَين؛ أي وجودِ مَحذوفَين مُتواجِهَين أو مُتقابِلَين في الجملة.

أمَّا التَّعريفُ الاصطلاحي للمُركَّب (حذف التَّقابُل) في فنِّه، فهو كما عرَّفه الزَّركَشيُّ: «أنْ يجتمِعَ في الكلام متقابلان، فيُحذَفَ مِن واحدٍ منهما مُقابِلُه؛ لدَلالة الآخَر عليه، كقَوله تعالىٰ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [هود:٣٥]، الأصل فإنِ افتريتُه فعليَّ

(٢) الخليل بن أحمد الفراهيدي، «العين»، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي. (د.ط، دار ومكتبة الهلال، د.ت)، ٣: ٢٠١.

(٣) إسماعيل بن حماد الجوهري، «الصِحاح تاج اللغة وصِحاح العربية»، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (ط٤، بيروت: دار العلم للملايين)، ٤: ١٣٤١.

(٤) أحمد بن زكرياء ابن فارس، «معجم مقاييس اللغة»، تحقيق: عبد السَّلام محمد هارون، (د.ط، بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ)، ٥: ٥١.

(٥) ابن فارس، «مقاييس اللغة»، ٥: ٥٢.

معتمدة في معامل أرسيف لعام 2024
DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

إجرامي وأنتم بُرآء منه وعليكم إجرامكم، وأنا بريءٌ ممَّا تجرمون؛ فنِسبةُ قَولِه تعالىٰ: ﴿إِجۡرَامِي﴾ وهو الأوَّل إلىٰ قَولِه: (وعليكم إجرامكم) وهو الثَّالثُ كنسبة قَولِه: (وأنتم برآء منه) وهو الثَّاني إلىٰ قوله: (وعليكم إجرامكم) وهو الثَّالث كنِسبة قوله: (وأنتم برآء منه) وهو الثَّاني إلىٰ قَولِه تعالىٰ: ﴿وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ ٣٥﴾ وهو الرَّابع، واكتفىٰ مِن كلٍّ مُتناسِبَين بأحدهما»[٦].

فحذفُ التَّقابُل -بإيجازٍ- هو: حذفٌ مِن الأوَّل لدَلالة الثَّاني، ومن الثَّاني لدَلالة الأوَّل[٧].

وهذا التَّعريفُ هو المعنيُّ هنا، وهو محلُّ الدِّراسة في هذا البحث.

ولحذف التَّقابُل كفنٍ بلاغيٍّ مُرادفاتٌ وتسمياتٌ أخرىٰ؛ منها:

أ- الاكتفاء بالمقابل[٨]:

سمَّاه بذلك علىٰ سبيل المثال لا الحصر:

---

(٦) محمد بن عبد الله الزرْكشي، «البرهانُ في علوم القرآن»، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط١، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م)، ٣: ١٢٩.

(٧) ينظر: أحمد بن محمد البسيلي، «التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد»، (د.ط، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، د.ت.، ٣٠٩.

(٨) تنبيه مهم: ثمَّة فَرقٌ بين الاكتفاء بالمُقابل المقصود هنا والاكتفاء؛ فالأولُ مرادفٌ لحذف التَّقابُل، وهو أحدُ أسمائه، أمَّا الثَّاني- أعني الاكتفاء- فهو: أنْ يَقتضيَ المَقامُ ذِكرَ شيئَين بينهما تَلازُمٌ وارتباطٌ؛ فيُكتفىٰ بأحدهما عن الآخَر لنُكتةٍ، ويختصُّ غالبًا بالارتباط العطفي، ومِثالُه قَولُه تعالىٰ: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] أي: والبردَ، وقولُه تعالىٰ: ﴿بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُ﴾ [آل عمران: ٢٦] أي والشَّرُّ، وإنَّما خصَّ الخَيرَ بالذِّكر؛ لأنَّه مطلوبُ العِباد ومرغوبُهم، أو لأنَّه أكثرُ وُجودًا في العالم، أو لأنَّ إضافةَ الشَّرِّ إلىٰ الله تعالىٰ ليس مِن باب الأدب، كما قال ﷺ: «والشَّرُّ ليس إليك». ينظر: الزركشي، «البرهان في علوم القرآن»، ٣: ١١٨، وعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، «الإتقانُ في علوم القرآن»، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د.ط، مصر: الهيئةُ المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م)، ٣: ٢٠٣؛ وعقيلة، محمد بن أحمد، «الزِّيادة والإحسان في علوم القرآن»، ٦: ١٣٠، وعبد العظيم إبراهيم المطعني، «خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية»، (ط١، د.م، مكتبة وهبة، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م)، ٢: ٧٢.

السِّجِلْماسيُّ[٩] الذي جعل له اسمَين «الاكتفاء بالمقابل، والحذف المُقابلي»[١٠]؛ فقال مُعرِّفًا هذا الفنِّ: «الاكتفاءُ بالمُقابل والحذفُ المُقابلي اسْمان له عندنا في هذه الصِّناعة مترادفان، والمَوطِئُ فيه بَيِّنٌ، والفاعلُ هو القَولُ المُركَّب مِن أجزاءٍ فيه متناسبةٍ، نِسبةُ الأول منها إلىٰ الثَّالث كنِسبة الثَّاني إلىٰ الرَّابع، أو ما كانت النِّسبةُ فيه كنحْو ذلك؛ فاجتُزئ مِن كلٍّ مُتناسِبَين بأحدهما لقَطعِ الدَّلالة ممَّا ذُكر علىٰ ما تُرك»[١١].

وممَّن سمَّىٰ هذا الفنَّ البلاغيَّ بالاكتفاء ابنُ البنَّاء المُرَّاكِشيُّ[١٢][١٣]، الذي قال مُعرِّفًا له: «وأمَّا الإيجازُ والاختصار فمنه ما يقال له الاكتفاءُ؛ وهو أنْ يُكتفَىٰ بأحد المُتلازِمَين عن الآخَر»[١٤][١٥].

---

(٩) **السِّجِلْماسيُّ**: هو القاسمُ بن محمد بن عبد العزيز الأنصاريُّ، أبو محمدٍ السِّجِلْماسيُّ الأديب. وُلد ونشأ بسِجِلْماسةَ، ورحل إلىٰ فاس فأخذ عن علمائها ودرس في القَرويِّين، وكان واسعَ الاطِّلاع علىٰ علوم العربية. تُوفي سنة: ٧٠٤هـ. ينظر: الزِّركلي، «الأعلام»، ٥: ١٨١، القاسم الأنصاري السِّجلماسي، «المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع»، تحقيق: علال الغازي، (ط١، الرباط- المغرب: مكتبة المعارف، ١٤٠١هـ- ١٩٨٠م)، ص٥١.

(١٠) ينظر: السِّجلماسي، «المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع»، ص١٩٥.

(١١) ينظر: السجلماسي، «المنزع البديع»، ص١٩٥.

(١٢) ابن البنَّاء المُرَّاكشي: هو أحمدُ بن محمد بن عثمان الأَزْدي، العَدَوي المُرَّاكشي، أبو العبَّاس، المعروفُ بابن البنَّاء. عالمٌ مشارك في كثير من العلوم، وكان فاضلًا عاقلًا نبيهًا انتفع به جماعة في التعليم، وله مصنَّفاتٌ كثيرة. تُوفي سنة: ٧٢١هـ، ينظر: ابن حجر العسقلاني، «الدُّررُ الكامنة في أعيان المائة الثامنة»، (ط٢، الهند: دائرةُ المعارف العثمانية، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م)، ١: ٣٣٠، معجم المؤلفين، ٢: ١٢٦.

(١٣) ينظر: أحمد بن محمد ابن البنَّاء، «الروضُ المُرِيعُ في صناعةِ البديعِ»، تحقيق: محمد عبد الوارث، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٣م)، ص٤٧.

(١٤) ينظر: ابن البناء، «الروضُ المُرِيع»، ص٤٧.

(١٥) ينظر ما ذُكر من تعليقٍ علىٰ تعريف ابن البنَّاء المراكشي في: ريحان، زينب عصام، «الاحتباك وأثره في بيان المعنىٰ في كتاب نَظْم الدُّرر للبِقاعي- جمعًا ودراسةً- من أوَّل القرآن إلىٰ نهاية سورة لُقمان». =

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

ب- التَّشبيب:

سمَّاه بذلك علىٰ سبيل المثال لا الحصر:

ابنُ هانئٍ اللَّخْميُّ[١٦]، حيث قال: «وبعضُهم يسمِّيه: (التَّشبيب)؛ والتَّشبيب في اللُّغة: هو التَّعليقُ؛ فسَمَّىٰ هذا تشبيبًا؛ لأنَّ كلَّ واحد مِن اللَّفظينَ مُتعلِّقٌ بالآخَر»[١٧].

ج- الاحتباك:

سَمَّاه بذلك علىٰ سبيل المثال لا الحصر:

ابنُ هانئٍ اللَّخْميُّ أيضًا؛ فيكونُ ابنُ هانئٍ قد ذكر لهذا الفنِّ البلاغي اسمَين: التَّشبيبَ المذكور آنفًا، والاحتباكَ المذكور هنا.

قال ابنُ هانئٍ اللَّخْميُّ: «وأمَّا مَن منع مِن تعميم اللَّفظ المُشترَك فإنَّه يُجعل مِن باب ما حُذف مِن الأوَّل ما أُثبت نظيرُه في الثَّاني، ومِن الثَّاني ما أُثبت نظيرُه في الأوَّل.. ويُسمَّىٰ في ألْقاب البديع (الاحتباك).. و(الاحْتِبَاكُ) ظاهرٌ، ومنه قوله ﷻ: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ [البقرة:١٧١] التقدير: ومَثَلُ داعي الذين كفروا كمَثَل الذي يَنعِق بما لا يَسمع إلَّا دعاءً ونداءً مدعوه.

= رسالة دكتوراه. (مكة المكرمة: جامعة أم القرىٰ، ١٤٤٤هـ-٢٠٢٢م)، ١٣٨، الهامش رقم (٤).

(١٦) **ابنُ هانئٍ اللَّخْميُّ:** هو الشَّيخُ سَرِيُّ الدين، أبو الوليد، إسماعيلُ بن محمد بن محمد بن علي بن عبد الله بن هانئ اللَّخْميُّ الغَرْناطي المالكي. كان من أهل الفضل، وولي قضاءَ حماه وطرابُلس وحلب، واشتهر بالمهارة في العربية. ذكره ابنُ كثير وبالغَ في الثَّناء عليه، تُوفِّي عام: ٧٧١هـ. ينظر: بُغية الوعاة في طبقات اللُّغويين والنُّحاة، ١: ٤٥٦، زين الدين عبد الباسط بن أبي الصفاء، «نيلُ الأمل في ذيل الدُّول»، تحقيق: عمر عبد السلام تدْمُري، (ط١، بيروت- لبنان: المكتبة العصرية، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م)، ٤: ١٦٧، سُلَّم الوصول إلىٰ طبقاتِ الفحول ١: ٣٢٧.

(١٧) محمد بن عبد الله ابن مالك، «ألفيَّة ابن مالك». (د.ط، د.م، دار التعاون، د.ت)، ١٠-١١.

فَحَذَفَ (دَاعِي) لدَلالةِ ﴿يَنْعِقُ﴾ عليه، و(مَدْعُوَّه) لدَلالة ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ عليه»[١٨].

وممَّن نصَّ على تسمية هذا الفنِّ البلاغي بالاحتباك السِّيوطيُّ، حيث قال: «النَّوعُ الثَّالث: ما يُسمَّىٰ بالاحتباك.. ذكره الزَّركَشيُّ في البرهان ولم يُسمِّه هذا الاسمَ، بلْ سمَّاه الحذفَ المُقابليَّ وأفرده بالتَّصنيف مِن أهل العصر العلَّامةُ برهانُ الدين البِقاعيُّ. قال الأَندلُسيُّ في شرح البَديعيَّة: مِن أنواع البديع الاحتباكُ، وهو نَوعٌ عزيز؛ وهو أنْ يُحذَفَ مِن الأوَّل ما أُثبت نظيرُه في الثَّاني، ومِن الثَّاني ما أُثبت نظيرُه في الأوَّل؛ كقَولِه تعالىٰ: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ﴾ الآية. التَّقدير: ومَثَلُ الأنبياءِ والكفَّار كمَثَل الذي يَنعِق والذي يُنعَق به؛ فحَذَف مِن الأوَّل الأنبياءَ لدَلالة ﴿ٱلَّذِى يَنْعِقُ﴾ عليه، ومِن الثَّاني الذي يُنعَق به لدَلالة ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ عليه»[١٩].

والأشهرُ في تعريف هذا الفنِّ البلاغي هو مصطلحُ (الاحتباك) لا حذف التَّقابُل، بلْ لعلَّ ما استقرَّ عليه تسميةُ هذا الفنِّ هو (الاحتباك)؛ لذا نجد المفسِّرين بعد ابن عرفة تَعارفوا علىٰ تسميته بالاحتباك[٢٠].

---

(١٨) أحمد بن محمد ذيبان، «شرح ألفية ابن مالك لابن هانئ، سري الدين إسماعيل بن محمد بن محمد بن علي اللخمي الغرناطي الأندلسي المالكي». رسالة دكتوراه. (مكة المكرمة: جامعة أمِّ القرىٰ، كلية اللغة العربية، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م)، ٢: ١٠-١١.

(١٩) السيوطي، «الإتقانُ في علوم القرآن»، ٣: ٢٠٤.

(٢٠) ينظر: ريحان، «الاحتباك وأثره في بيان المعنىٰ في كتاب نَظْم الدُّرر للبِقاعي- جمعًا ودراسةً- من أوَّل القرآن إلىٰ نهاية سورة لُقمان»، ١٦٥-١٧٧، من الكتاب الخامس عشر حتَّىٰ نهاية الكتب في المبحث عند الكتاب السَّادس والعشرين؛ فقد تَتابع جُلُّ هؤلاء المفسِّرين علىٰ تسمية هذا الفنِّ البلاغي بالاحتباك، وهُم أبرزُ مَن أشار لهذا الفنِّ مِن المفسِّرين، بلْ ربَّما لا يكون قد ظهر فنٌّ بلاغيٌّ له اسمٌ مستقلٌّ قبْلهم.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

ولا تكاد تجد مصطلح (حذف التَّقابُل) يظهر عند المفسِّرين معنيًّا به هذا الفنَّ البلاغي إلَّا في النَّادر القليل، وفي الغالب يكون ممَّن تبع ابنَ عرفةَ أو نقل عنه(٢١).

ويَجدُر بنا هنا التَّعريجُ سريعًا علىٰ تعريف الاحتباك؛ إذْ هو أشهرُ مرادفات هذا المصطلح البلاغي، بل هو الأشهرُ في تسمية هذا الفنِّ كما سبق.

الاحتباكُ مشتقٌّ من الحَبْكِ، والحاءُ والباء والكاف أصلٌ مُنْقاسٌ مُطَّرِدٌ، وهو عائدٌ إلىٰ إحكام الشَّيء في امتدادٍ واطِّرادٍ. ومنه ما يقال: بَعيرٌ محبوكُ القَرَا(٢٢)؛ أي قَويُّه(٢٣).

«وكلُّ شَيءٍ أَحكَمتَه وأَحسَنتَ عملَه فقد احتَبكتَه»(٢٤).

وفي الاصطلاح: «هو أنْ يجتمعَ في الكلام مُتقابلان، ويُحذَف مِن كلِّ واحدٍ منهما مُقابِلُه لدَلالةِ الآخَر عليه؛ كقوله: عَلفْتُها تِبْنًا وماءً باردًا؛ أي: عَلَفْتُها تِبْنًا، وسَقَيتُها ماءً باردًا»(٢٥).

---

(٢١) كأبي العَبَّاس البَسِيليِّ التُّونُسيِّ (المتوفَّىٰ ٨٣٠هـ) في كتابه: نُكَت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد، وهذا الكتاب- كما جاء في بيان الطَّبعة في الشاملة- ممَّا اختصره من تقييده الكبير عن شيخه الإمام ابن عرفةَ (ت٨٠٣هـ) وزاد عليه. وقد جاء في مقدِّمة تحقيق «نُكَتٌ وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد»، ١: ١٠، ما نصَّه: «وقد أخذ مؤلِّفُهُ العالِمُ أبو العبَّاس البَسِيليُّ مادَّتَه الجُلَّىٰ من مجالس التَّفسير لأستاذه شيخِ الإسلام بإفريقية، أبي عبد الله، محمدِ بن عَرفةَ الوَرْغَمِّيِّ التُّونُسي (ت٨٠٣هـ)، وزاد عليه، ثمَّ اختصره حْسبما ذكر في ديباجته». والبَسِيليُّ ممَّن يسمِّي هذا النَّوعَ كشَيخه (حذف التَّقابُل. ينظر: «نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد»، ٣: ٤٣٠، ٣: ٤٥٤، ٣: ٤٨٥.

(٢٢) **القَرَا:** الظَّهرُ، وقيل: وسَط الظَّهر، وتثنيتُه قَرَيان وقَرَوان، وجمعُه أقراءٌ وقِرْوانٌ. ينظر: لسان العرب، ١٥: ١٧٦، مادَّة (ق ر ا).

(٢٣) ينظر: ابن فارس، «مقاييس اللغة»، ٢: ١٣٠.

(٢٤) أبو عبيد القاسم بن سلام، «غريب الحديث»، تحقيق: حسين محمد شرف، (ط١، القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م)، ٥: ٣٤٢.

(٢٥) علي بن محمد الجرجاني، «التعريفات»، تحقيق: جماعة من العلماء، (ط١، بيروت: دار الكتب =

فظاهرٌ ها هنا مِن التَّعريف أنَّه مرادفٌ مطابقٌ لحذف التَّقابُل، وقد أشار بعضُ أهل العلم إلىٰ ذلك، فجاء عِندهم ما نصُّه: «والاحتباكُ مِن ألطف أَنْوَاع البديع وأبدعِها، وقد يُسمَّىٰ حذفَ الـمُقابِل؛ وهو أنْ يُحذف مِن الأوَّل ما أُثبت نظيرُه في الثَّاني، ومِن الثَّاني ما أُثبت نظيرُه في الأوَّل»(٢٦).

ولهذا الأسلوب البلاغيُّ قيمةٌ علمية كبيرة؛ لأنَّه يندرج تحت باب الحذف، الذي قال عنه شيخُ العربيّة في زمانه، البارعُ الـمُتفنِّن الذي انتهتْ إليه رياسةُ النُّحاة، الإمامُ أبو بكرٍ، عبدُ القاهر الجُرْجانيُّ(٢٧): «هو بابٌ دقيقُ الـمَسْلَك، لطيفُ الـمَأْخَذ، عجيبُ الأمر، شبيهٌ بالسِّحْر؛ فإنَّكَ ترىٰ به تَرْكَ الذِّكْر أَفْصحَ مِن الذِّكْر، والصَّمتَ عن الإفادةِ أَزْيَدَ للإفادة، وتَجِدُكَ أَنْطَقَ ما تكونُ إذا لم تَنْطِقْ، وأَتمَّ ما تكونُ بيانًا إذا لم تُبِنْ»(٢٨).

و«**مِن أسباب قُوَّة العبارة**: أنْ تأتيَ مُوجَزةً مُحكَمةَ التَّركيبِ، محذوفًا منها ما قامت القرائنُ علىٰ وُجوده مُقدَّرًا؛ لأنَّ ذِكرَه حينئذٍ ممَّا يُؤدِّي إلىٰ ثِقَل العبارة بما يمكِن الاستغناءُ عنه، كما أنَّه يؤدِّي إلىٰ إطالتها وتَرهُّلها، والبلاغةُ الإيجازُ»(٢٩).

= العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م)، ص١٢.

(٢٦) أيوب بن موسىٰ الكفوي، «الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية»، تحقيق: عدنان درويش- محمد المصري. (د.ط، بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ت)، ص٥٧.

(٢٧) ينظر: ابن تغري بردي، يوسف بن عبد الله، «النجومُ الزَّاهرةُ في ملوك مصر والقاهرة»، (د.ط، مصر: دار الكتب، د.ت)، ٥: ١٠٨.

(٢٨) عبد القاهر الجُرجاني، أبو بكر بن عبد الرحمن، «دلائلُ الإعجازِ في علم المعاني»، تحقيق: محمود محمد شاكر، (ط٣، القاهرة: مطبعة المدني - جدة: دار المدنيِّ، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م)، ١: ١٤٦.

(٢٩) حسن بن إسماعيل الجناجيِّ، «النَّظْم البلاغي بين النَّظرية والتَّطبيق»، (ط١، القاهرة: دار الطباعة المحمدية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، ص١٧٦.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

وهذا الفنُّ أو النَّوعُ البلاغي -أعني حذف التَّقابُل على تَعدُّد أسمائه- مِن أَلْطَفِ الأنواعِ وأَبدَعِها[٣٠]، وهو مِن إبداعاتِ القرآن وعناصرِ إعجازه[٣١].

قال السِّجْلِماسيُّ في مَعرِض حديثه عن هذا الفنِّ البلاغي: «وهذا النَّوعُ بالجُملة هو مِن القَول الجميل ذي الطَّلاوة والبهجة والماء والعُذوبة، الجَزْلِ المَقْطَع، الغريبِ المَنزِع، اللَّذيذِ المسمُوع؛ لِما بين أجزائه مِن الارتباط؛ لِما للنَّفْسِ النَّاطقة مِن الالْتِذاذ بإدراك النِّسَب والوُصَل بين الأشياء، ثمَّ بإبراز ما في القُوَّة مِن ذلك إلى الفعل، وبالشُّعور به. فلذلك تَوفَّر عليه مِن المَزيَّة ما تَراه يُباين به سائرَ النُّظوم»[٣٢]

وقال ابنُ هانئ اللَّخْميُّ في مَعرِض حديثه عن هذا الفنِّ البلاغي: «وهذا مِن أفصحِ ما جاء عن العرب وأَجمَعِه وأَوجَزِه»[٣٣].

والمُتأمِّلُ في شواهد هذا الفنِّ البلاغي سيُدرِك -بإمعانِ النَّظر فيه- جمالَه وحبكتَه البديعة.

(٣٠) ينظر: السيوطي، «الإتقان في علوم القرآن»، ٣: ٢٠٤؛ والكفوي، «الكليَّات»، ص٥٧.

(٣١) ينظر: عبد الرحمن بن حسن حبنَّكة الميداني، «البلاغة العربية»، (ط١، دمشق: دار القلم- بيروت: الدار الشامية، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م)، ١: ٣٤٧.

(٣٢) السجلماسيُّ، «المنزعُ البديع»، ١٩٥.

(٣٣) ذيبان، «شرح ألفيَّة ابن مالك، لابن هانئ»، ٢: ١١.

المبحثُ الأوَّلُ

التَّعريفُ بابْنِ عرفةَ ومنهجِهِ في إيرادِ حذفِ التَّقابُلِ

وفيه مطلبان:

المطلبُ الأوَّل: التَّعريفُ بابْنِ عرفةَ

◆ **اسمهُ ونسبهُ:**

هو الإمامُ العلَّامة المُقْرئ، الفُروعيُّ الأُصوليُّ، البيانيُّ المَنطِقي، الشَّيخ[٣٤] أبو عبد الله، مُحمَّدُ بنُ مُحمَّدِ بن عَرَفَةَ التُّونُسيُّ المالِكِيُّ الوَرْغَمِّيُّ[٣٥]، بفتحِ الواو وسكونِ الرَّاء وفتحِ المُعجَمة وتشديدِ الميم[٣٦]. والوَرْغَمِّيُّ نِسبةٌ إلىٰ (وَرْغَمَّة) قريةٍ بإفريقية[٣٧].

---

(٣٤) ينظر: محمد بن علي الدَّاودي، «طبقات المفسّرين»، (د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ٢: ٢٣٦.

(٣٥) **الوَرْغَمِّي**: قيل: نسبةً إلىٰ وَرْغَمَّةَ قريةٍ في إفريقية. ينظر: الشوكاني، البدرُ الطالعُ بمحاسنِ من بعد القرن السابع، ٢: ٢٥٥.

وقيل: بل نسبة إلىٰ قبيلة وَرْغَمَّةَ البربرية المتعرِّبة، التي في أقصىٰ الجنوب الشرقي التونسي بولاية مدنين، ينظر: محمد محفوظ، «تراجم المؤلِّفين التُّونسيِّين»، (ط٢، بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٤م)، ٣: ٣٦٣.

(٣٦) ينظر: ابن حجر العسقلاني، «المجمع المؤسِّس للمُعجم المفهرس»، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، (ط١، دار المعرفة - بيروت، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م)، ٢: ٤٦٠، وعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، «بغيةُ الوُعاة في طبقات اللغويين والنُّحاة»، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د.ط، لبنان: المكتبة العصرية، د.ت)، ١: ٢٢٩.

(٣٧) ينظر: خير الدين بن محمود الزِركليّ، «الأعلام»، (ط١٥، د.م، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م)، ٧: ٤٣.

معتمدة في معامل أرسيف لعام 2024
DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

مولده:

وُلد الإمامُ ابنُ عرفةَ بتُونُسَ سنة سِتَّ عشرَةَ وسَبْعمائة[٣٨]، وجاء في بعض المراجع أنَّ وِلادتَه كانت في سنة سِتٍّ وثلاثين[٣٩].

والمعتدُّ به هو الأوَّلُ -أي ٧١٦هـ- لتَتابُعِ المصادر علىٰ ذِكره. والله أعلم.

وكانت ولادتُه في عائلةٍ عُرِفتْ بالتَّقْوىٰ وحُبِّها للعلم؛ فأبوه كان خَيِّرًا صالحًا مُتعبِّدًا، جاوَر بالمدينة المُنوَّرة -علىٰ ساكِنها الصَّلاةُ والسَّلام- ولازَمها حتَّىٰ تُوفِّيَ. وممَّا أُثر عنه أنَّه كان يدعو آخِرَ اللَّيل لولده محمدٍ بعد تَهجُّده[٤٠].

مذهبُهُ الفقْهيُّ:

كان الإمامُ ابنُ عرفةَ مالكيَّ المذهب[٤١]، وقيل: إنَّه حاملُ راية المذهب الفقهيِّ في الآفاق في زمانه[٤٢].

---

(٣٨) ينظر: محمد بن عبد الرحمن السخاويِّ، «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع»، (د.ط، بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت)، ٩: ٢٤٠؛ والسيوطي، «بغيةُ الوُعاة في طبقات اللغويين والنُّحاة»، ١: ٢٢٩؛ والدَّاودي، «طبقات المفسِّرين»، ٢: ٢٣٦، ومعجم المؤلِّفين، ١١: ٢٨٥؛ والموسوعة الميسَّرة في تراجم أئمَّة التَّفسير والإقراء والنَّحو واللُّغة»، ٣: ٢٣٩٩؛ والزركلي، «الأعلام»، ٧: ٤٣.

(٣٩) ينظر: ابن حجر العسقلاني، «المجمع المؤسِّس للمُعجم المفهرس»، ٢: ٤٦١.

(٤٠) ينظر: أحمد بابا بن أحمد التنبكتي، «نيل الابتهاج بتطريز الديباج»، تحقيق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، (ط٢، طرابلس- ليبيا: دار الكاتب، ٢٠٠٠م)، ٤٦٣، ومحمد بن محمد الورغمي، ابن عرفة، تفسير الإمام ابن عرفة، تحقيق: محمد حوالة، (ط١، بيروت- لبنان: دار ابن حزم، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م)، ١: ١١.

(٤١) ينظر: محمد بن أحمد الفاسيِّ، «ذيلُ التقييِّد في رواة السُّنن والأسانيد»، تحقيق: كمال يوسف الحوت، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م)، ١: ٢٣٦، ابن حجر العسقلانيِّ، «المجمع المؤسِّس للمُعجم المفهرس»، ٢: ٤٦٠؛ والدَّاودي، «طبقات المفسِّرين»، ٢: ٢٣٦.

(٤٢) ينظر: محمد الشاذلي النيفر، «عنوان الأريب عما نشأ في البلاد التونسية من عالم أديب»، (د.ط، بيروت: دار الغرب الإسلامي، د.ت)، ١: ٣٣٤.

مكانته العلمية:

هو شيخُ الإسلام في بلاد المغرب[٤٣]، سمع من ابنِ عبد السَّلام الهوَّاريِّ المُوَطَّأَ، وأخذ عنه الفِقهَ والأُصولَ، وتَفقَّه عليه، وبَرَع في الأُصولِ والفُروع، والعربيةِ والمعاني والبَيان، والقراءاتِ والفرائضِ والحسابِ[٤٤].

قَرأ بالرِّوايات علىٰ أبي عبد الله، مُحمَّدِ بن حسن بن سَلمَةَ وغَيرِه، ومِن شُيوخِه في العِلم والِدُه وأبو عبد الله الوادي آشي، وغيرُهم[٤٥].

رَحل إليه النَّاسُ وانتفعوا به، ولم يكنْ بالغَرب مَن يَجْرِي مَجْرَاه في التَّحْقِيق، ولا مَن اجتمع له مِن العلوم ما اجتمع له، وكانت الفتوىٰ تأتي إليه مِن مسافة شهرٍ. ومَهَر في العلوم وأتقن المعقولَ والمنقول إلىٰ أنْ صار المرجوعُ إليه في الفتوىٰ ببلاد المغْرب، وتَصدَّىٰ لنَشرِ العلوم، وكان لا يَمَلُّ مِن التَّدريس وإسماع الحديث والفتوىٰ[٤٦].

له التَّصانيفُ العزيزة والفضائلُ الكثيرة، وانتشر عِلمه شرقًا وغربًا؛ فكانت إليه الرِّحلةُ في الفتوىٰ والاشتغال بالعِلم والرِّواية، وكان حافظًا للمَذهَب ضابطًا لقواعده، إمامًا في علوم القرآن، مُجيدًا في التَّفسيرِ والعربية، والأصلَين والفرائض والحساب، وعلمِ المَنطِق والمعاني والبيان، وغيرِ ذلك[٤٧].

---

(٤٣) ينظر: ابن حجر العسقلانيِّ، «المجمع المؤسِّس للمُعجم المفهرس»، ٢: ٤٦٠.

(٤٤) ينظر: السخاوي، «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع»، ٩: ٢٤٠؛ والسيوطي، «بغيةُ الوُعاة في طبقات اللغويين والنُّحاة»، ١: ٢٢٩.

(٤٥) ينظر: السخاوي، «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع»، ٩: ٢٤٠؛ والسيوطي، «بغيةُ الوُعاة في طبقات اللغويين والنُّحاة»، ١: ٢٢٩.

(٤٦) ينظر: السخاوي، «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع»، ٩: ٢٤٠؛ والسيوطي، «بغيةُ الوُعاة في طبقات اللغويين والنُّحاة»، ١: ٢٢٩.

(٤٧) ينظر: الدَّاودي، «طبقات المفسِّرين»، ٢: ٢٣٧.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

تَخرَّج بين يدَيه جِلَّةٌ مِن العلماء الأعلام وقُضاة الإسلام، وتَولَّىٰ الإمامةَ والخَطابة بجامع الزَّيتُونة، وانقطع للاشتغال بالعلم والتَّصدُّر لتجويد القراءات[٤٨].

صِفاته:

كان رأسًا في العِبادةِ والزُّهد والوَرع، مُلازِمًا الشُّغل بالعِلم[٤٩]، واجتمع علىٰ اعتقاده ومحبَّته الكثيرُ مِن النَّاس[٥٠]، وكان ذا دِينٍ متين، وعقلٍ رَصين، وحُسنِ إخاءٍ وبَشاشةِ وجهٍ للطُّلَّاب، صائمَ الدَّهر، لا يَفتُر عن ذِكرِ الله وتلاوة القرآن إلَّا في أوقات الاشتغال، لا يُرىٰ إلَّا في الجامع أو في حَلَقة التَّدريس، وكان يبالِغ في البرِّ والإحسان إلىٰ الوارِدِين عليه، ويسعىٰ في قضاء حوائجهم.

وقد خوَّله اللهُ وأعطاه ما لم يجتمع لغَيره في بلده؛ فكانت له أوقافٌ جزيلة في وجوه البرِّ، وكان رأسًا في العِبادة والزُّهد والوَرَع، ومناقبهُ عديدةٌ وفضائلهُ كثيرة[٥١].

أبرزُ مؤلَّفاته:

- **تفسير القرآن الذي هو ميدان هذا البحث:**

له عددٌ مِن الطَّبعات، منها طبعةُ: (دار الكتب العلمية - بيروت) في أربعة أجزاء، وطبعةُ: (دار ابن حزم - بيروت) في خمسة أجزاء، وهي التي استقرَّ عليها اختيارُنا واعتمدناها في هذا البحث، إلَّا في بعض المواضع اليسيرة، التي كان لا بُدَّ مِن الرُّجوع فيها إلىٰ طبعةٍ أخرىٰ مع إثبات ذلك في الهامش.

---

(٤٨) ينظر: الدَّاودي، «طبقات المفسِّرين»، ٢: ٢٣٧.

(٤٩) ينظر: السخاويُّ، «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع»، ٩: ٢٤٠؛ والسيوطي، «بغيةُ الوُعاة في طبقات اللغويين والنُّحاة»، ١: ٢٢٩.

(٥٠) ينظر: الدَّاودي، «طبقات المفسِّرين»، ٢: ٢٣٧.

(٥١) ينظر: المرجع السابق، ٢: ٢٣٧.

وهذا التَّفسيرُ تقييداتٌ ثَريَّةٌ لتفسير القرآن العظيم قيَّدها تلاميذُ ابن عرفة عنه؛ فهو مِن مَرويَّاتِ تلامذة ابن عرفة عنه، وله ثلاثُ روايات: روايةُ الأبّي محمد بن خليفة الوشتاني، ورواية البَسِيلي أحمد بن محمد البَسِيلي، ورواية السّلاوي الشَّريف الإدريسي أبي القاسم، لكنَّ الأخيرةَ مفقودةٌ حتَّىٰ الآن(٥٢).

ولكَونِ أصل هذا التَّفسير تقييداتٍ فإنَّ أفضلَها وأشملها يكون لأشدِّ التَّلاميذ مُلازَمةً لابن عرفة، وقد رجَّح محقِّقُ النُّسخة المعتمَدة أنَّ أشدَّ التَّلاميذ المُقيِّدين مُلازَمةً لابن عرفةَ هو الأبِّيُّ؛ فتكون نُسختُه هي الأفضلَ بين التَّقييدات دون الاستغناء عن بقيَّة النُّسَخ فهي تَتآزر، وهذا ما اعتمده صاحبُ الطَّبعة المُعتمَدة في هذا البحث، وذُكر علىٰ غُلاف طبعة دار ابن حزم مِن هذا التَّفسير أنَّها رواية الأبِّيِّ(٥٣)(٥٤) مع تضمين رواية البَسيليِّ للتَّكميل، وجاء في التحقيق بعد بيان أفضلية رواية الأبِّيِّ: «إلَّا أنَّ هذا الكلامَ لا يعني أنَّه يُمكِنُنا الاستغناءُ بنصِّ الأبِّيِّ عن نصِّ البَسِيليِّ في التَّحقيق؛ لأنَّ الدِّراسةَ المقارنة بين النَّصَّين تَكشف لنا عن وجود ثغراتٍ في نصِّ الأبِّي الذي بين أيدينا لا يمكِن سَدُّها وتصحيحُها إلَّا بنصِّ البَسِيليِّ؛ ليَكتملَ التَّقييد، أَضِفْ إلىٰ ذلك الكلماتِ والجُملَ العديدة التي تَعسَّرت قراءتُها أو تَسقُط في جميع النُّسخ، فيُسعِفُنا بها تقييدُ البَسِيليِّ، وهو ما يَحمِلنا علىٰ الاستعانةِ به ووضعِه جَنبًا إلىٰ جنبٍ مع

(٥٢) ينظر: ابن عرفة، «تفسير الإمام ابن عرفة»، (طبعة دار ابن حزم)، ص٢٣-٣٨، فقد استفدنا هذه الفقرة منه.

(٥٣) ينظر: المرجع السابق، ص٢٣-٣٨، فقد استفدنا هذه الفقرة منه.

(٥٤) ومِثلُه ذُكر في طبعة دار الكتب العلمية؛ فجاء في أوَّل صفحاتها علىٰ الشَّاملة اسمُ الكتاب هكذا: «تفسير ابن عرفة برواية الأبِّي».

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

نصِّ الأبِّيِّ؛ لتكتملَ الرُّؤيةَ حول قيمة النَّصَّين، ويكونَ النَّصُّ المُحقَّقُ أقربَ ما يكون مِن صاحبه»[٥٥].

- **المُختصَر في المنطق:**

ألَّفه لتلامذته[٥٦]، وقال في مُقدِّمته عن سبب تأليفه: «فرأيتُ أنْ أجمعَ لهم قواعدَ الفنِّ بوسَط الاختصار، مع زيادةٍ عُرْيَةٍ عن الإكثار، مُنبِّهًا على ما قيل مِن مشهورِ رأيٍ مُضعَّفٍ وبرهانٍ مُزيَّفٍ»[٥٧].

- **المختصر الكبير (في فقه المالكية):**

هذا الكتابُ مُهمٌّ في بابه. يقول ابنُ عاشور: «بَحَث فيه الأنظارَ المهجورة والأقوالَ المتروكة منذ القرنِ السَّادس، ووَضَعها بين الأقوالِ المصْطلَح بين الفقهاء على الأخذِ بها تشهيرًا وترجيحًا واختيارًا، على بِساطٍ واحدٍ مِن النَّقدِ والتَّحقيق، والمُقارَنةِ والاستدلال، والكشفِ عمَّا ارتبطتْ به تلك الأقوالُ مِن اعتباراتٍ باقية وزائلة، وما ارتبط بها اختيارُها وتشهيرها مِن اعتبارٍ لظُروفٍ واقعية أو إعمالٌ لأصولٍ نظريةٍ، قد يكون وجهُ ذلك الاختيار قائمًا ومقبولًا، وقد يكون زائلًا ومحلَّ نَظَرٍ»[٥٨].

- **المختصر الشَّامل (في أصول الدين):**

هذا الكتابُ عارَض به ابنُ عرفةَ كتاب طوالعَ الأنوار، للبَيْضاوي.

- **مختصر الفرائض:**

هذا الكتابُ اختصر فيه ابنُ عَرفةَ كتاب الفرائض للحَوْفي.

---

(٥٥) ابن عرفة، «تفسير الإمام ابن عرفة»، (طبعة دار ابن حزم)، ص٣٣.

(٥٦) ينظر: ابن عرفة، «تفسير الإمام ابن عرفة»، (طبعة دار ابن حزم)، ص٢٠.

(٥٧) محمد بن محمد الورغميّ، ابن عرفة، «المختصر في المنطق». المكتبة الشاملة، ص١.

(٥٨) محمد محفوظ، «تراجم المؤلِّفين التُّونسيِّين»، ٣: ٣٦٩.

- **الحدود في التَّعريفات الفقهية:**

وفيه جُملةٌ من التَّعريفات للأبواب الفقهية.

إلىٰ غيرِ ذلك مِن الـمُؤلَّفات القيِّمة(٥٩).

الوفاة:

بَقِيَ الإمامُ ابنُ عرفة علىٰ حالِه مِن العَظَمةِ والسُّؤدَد في العلم، عالـمًا مُعلِّمًا يُعلِّم فنونَ الـمعرفة لأكثرَ مِن نصفِ قرنٍ مِن الزَّمان؛ فتَتلمذتْ عليه الأجيالُ مُتعاقِبةً تَنهَل مِن علومه، وهو لا يَعرِف كَلالًا ولا مَللًا، إلىٰ أنَّ أَحسَّ بدُنوِّ أجَله فتَصدَّق بمالٍ وفير، وما لَبِث أنْ تُوفِّيَ في يوم الثُّلاثاء التَّاسعَ عشرَ مِن شهر جُمادىٰ الأُولىٰ(٦٠)، وقيل: تُوفِّيَ ليلةَ الخميس الرَّابعِ والعشرين مِن جُمادىٰ الآخرة(٦١)، وعلىٰ كِلا القَولَين فقد تُوفِّيَ في سنة ثلاثٍ وثمانمائة عن سَبعٍ وثمانين سنةً تقريبًا(٦٢)، ودُفن في مقبرة الجلاز بتُونُس(٦٣). رحمه الله رحمةً واسعةً(٦٤).

---

(٥٩) تُنظر مؤلَّفاتُ ابن عرفة عند: «مقدِّمة تفسير القرآن الكريم»، لابن عرفة، (طبعة دار ابن حزم)، ١: ١٩-٢٢، ابن حجر العسقلاني، «المجمع المؤسِّس للمُعجم المفهرس»، ٢: ٤٦٢؛ والدَّاودي، «طبقات المفسِّرين»، ٢: ٢٣٨؛ وابن القاضي، «دُرَّة الحِجَال في أسماء الرِّجال»، ٢: ٢٨٠؛ والشوكاني، «البدر الطَّالع بمحاسن مَن بعد القرن السَّابع»، ٢: ٢٥٦؛ والزِّركليّ، «الأعلام»، ٧: ٤٣؛ والوَفَيَات والأحداث، ص١٦٧.

(٦٠) هذا بحسَب: عنوان الأريب عمَّا نشأ في البلاد التونسية من عالم أديب، ١: ٣٣٥.

(٦١) هذا بحسَب: «طبقات المفسِّرين»، للدَّاودي، ٢: ٢٣٨.

(٦٢) هذا العُمر علىٰ القَولِ المرجَّح بكثرة المراجع التي ذكرتْها عند ولادته، والقائلِ بأنَّ ميلادَ الإمام ابن عرفة كان في عام ٧١٦هـ..

(٦٣) ينظر: النيفر، «عنوان الأريب عمَّا نشأ في البلاد التونسية من عالم أديب»، ١: ٣٣٥.

(٦٤) ينظر: ابن حجر العسقلاني، «المجمع المؤسِّس للمُعجم المفهرس»، ٢: ٤٦٢؛ والدَّاودي، «طبقات المفسِّرين»، ٢: ٢٣٨، وسُلَّم الوصول إلىٰ طبقات الفحول، ٣: ٢٥٩؛ والنيفر، =

معتمدة في معامل أرسيف لعام 2024
DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

المطلبُ الثَّاني: منهجُ ابنِ عرفةَ في إيرادِ حذفِ التَّقابُل

◆ **أولاً: منهجه في بيان نَظْم الآية وسياقها بعد تقدير وجود حذفِ التَّقابُل فيها، ويَسلُك في ذلك مَسلَكَين:**

الأوَّلُ: أنْ يَذكُرَ سياقَ الآية ونظْمَها مع تقدير المحذوفَين في مَحلِّها مِن النَّظْم.

مِثالُ ذلك عند قَولِه تعالىٰ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [آل عمران:١٢٨] قال: «فيه عندي حذفُ التَّقابُلِ؛ لأنَّ التَّوبةَ لا تُقابِل العذابَ، وإنَّما تُقابِل المعصيةَ؛ فالتَّقديرُ: أو يَتُوبَ عليهم فيَرحَمَهم، أو يَدُومُوا علىٰ كُفرهم فيُعذِّبَهم؛ فحَذَف مِن الأوَّل نقيضَ ما ذُكر في الثَّاني، ومِن الثَّاني نقيضَ ما ذُكر مِن الأوَّل»[٦٥].

الثَّاني: أنْ يَذكُرِ الرُّكنَين المحذوفَين دون بيانِ محلِّ كلِّ ركنٍ محذوف ومَوضِعِه في السِّياق، بل يكتفي بالإشارة للمحذُوفَين. مِثالُ ذلك عند قَولِه تعالىٰ: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [آل عمران:١١٧] قال: «لَمَّا تَضمَّن الكلامُ السَّابق أنَّ أموالَهم وأولادهم لا تُغْني عنهم شيئًا عقَّبه ببيانِ عاقبة ما يُنفِقون مِن أموالهم، وهذا إمَّا إبطالٌ لها مِن أصلها أو إبطالٌ لثمرتها؛ لأنَّ المالَ في الدُّنيا تارةً يكون البَخْسُ فيه بعدمِ حركته وتركِ التَّجْر به، وتارةً يكون البخسُ فيه مِن حَوالةِ الأسواق فيه بالخَسارة، وهو

= «عنوان الأريب عمَّا نشأ في البلاد التونسية من عالم أديب»، ١: ٣٣٤؛ وابن عرفة، «تفسير الإمام ابن عرفة»، (طبعة دار ابن حزم)، ص١٨.

(٦٥) ابن عرفة، «تفسير القرآن الكريم»، (طبعة دار ابن حزم)، ٢: ٢٤٠.

أظهَرُ في التَّشبيه هنا، وهلْ هو تشبيهُ مفرَدٍ بمُفردٍ واحدٍ كقَولِه تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٧٧] ففيه حذفُ شيءٍ واحدٍ، إمَّا مِن الأوَّل أو مِن الثَّاني، أو مِن حذفِ التَّقابُل وشبَّه فيه إنفاقَهم وإحباطَه في الآخرة بالزَّرْعِ الأخضر وإهلاكِه بالرِّيح»[٦٦].

◆ **ثانيًا: منهجه في ذِكر الأركانِ المحذوفةِ مِن الحذفِ التَّقابُلي، ويَسلُك في ذِكرها ثلاثةَ مَسالكَ:**

الأوَّلُ: ذِكرُ الرُّكنَين المحذوفَين من أركان الحذف التَّقابُلي نصًّا. مِثالُ ذلك ما ذكره عند قَولِه تعالىٰ: ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾ [سبأ:٤٩] قال: «يحتمل أن يكون فيه حذفُ التَّقابُل؛ أي: قُلْ جاء الحقُّ [يُبْدِئ ويُعيد]، [وزَهَق] الباطلُ وما يُبدِئ وما يُعيد»[٦٧].

الثَّاني: ذِكرُ أحدِ الأركان المحذوفة مِن أركان الحذف التَّقابُلي، والاكتفاءُ بذِكره للإشارة إلىٰ الركن الآخر.

ومِثالُ ذلك ما ذَكره عند قَولِه تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [آل عمران:١٠٦-١٠٧] إذ قال: «تَقدَّم مِنَّا سؤالٌ؛ وهو: لِمَ ذُكر سببُ تعذيب أولئك وعُدِّد لهم وهُدِّدوا، ولم يُذكر سببُ رحمة هؤلاء وثوابُهم فلم يُقَلْ: (وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضتْ وُجُوهُهُمْ)، [فيُقال لهم: اهتديتم إلىٰ الإيمان واتَّبعتم الرسول] فأنتُم خالدون في رحمة الله.

---

(٦٦) المرجع السابق، (طبعة دار ابن حزم)، ٢: ٢٢٣.

(٦٧) ابن عرفة، «تفسير القرآن الكريم»، (طبعة دار ابن حزم)، ٤: ٧٦٨.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

قال: والجواب: إمَّا أنَّه مِن حذفِ التَّقابُلِ، وإمَّا بأنَّ هذا جَرىٰ علىٰ الصَّفحِ المألوف مِن فُضلاء المُلوك والأشرافِ في الدُّنيا؛ أنَّ مَن عَصاهم يُعذِّبونه ويُعدِّدون عليه أفعالَه القبيحة زيادةً في عذابه بالقَول والفِعل، ومَن تَكرَّموا عليه فأطاعهم يكافئونه بمجرَّد إسداء النِّعَم عليه، ولا يُذكِّرونه بما سَلَفتْ له حسْبما قال الشَّاعرُ:

وإنِ امرؤٌ أَسدَىٰ إليَّ بنِعمةٍ ... وذكَّر فيها مَرَّةً لَبَخيلُ[٦٨]

قلتُ: وأشار إلىٰ: تعذيبُ الله لهم عدلٌ وجزاءٌ عن كُفرهم، ورحمتُه بهم محضُ تفضيلٍ لا جزاءُ عملهم بوجهٍ»[٦٩].

الثَّالث: الاكتفاءُ بالإشارة إلىٰ حذف التَّقابُل دون ذكر أيِّ ركنٍ مِن الأركان المحذوفة بعَين نصِّها المُقدَّر.

مِثالُ ذلك ما ذكره عند قَولِه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ١٤﴾ [الانفطار:١٣-١٤] إذ قال: «في الآية حذفُ التَّقابُل؛ لأنَّه ذَكر في القِسم الأول ما يَحصُل لهم دون مَحلِّه، وفي القِسمِ الثَّاني العكس»[٧٠].

---

(٦٨) هذه روايةُ البيت في تفسير ابن عرفة، وصوابُه:

وإذا امرؤٌ أَسدَىٰ إليَّ صَنيعةً ... وذكَّرنيها مَرَّةً لَبَخيلُ

ورُوي أيضًا: «للئيمُ» بدلًا من: «لبخيلُ».

والبيتُ مرويٌّ في عدَّة مصادرَ غيرَ منسوب.

(٦٩) ابن عرفة، «تفسير الإمام ابن عرفة»، (طبعة دار ابن حزم)، ٢: ٢١١.

(٧٠) المرجع السابق، (طبعة دار الكتب العلمية)، ٤: ٣٣٢. وينظر أيضًا: المرجع نفسه، (طبعة دار ابن حزم)، ٥: ٥٧٤.

◆ **ثالثًا: منهجُهُ في عدد الآيات التي يَبنِي عليها الحذفَ التَّقابُلي ويجعلها مَدارَه وهو على أربعةِ أَضرُبٍ:**

الأول: أنْ يَبنِيَ الحذفَ التَّقابُليَّ علىٰ آيةٍ واحدة:

مِثالُ ذلك ما ذكره عند قَولِه تعالىٰ: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [الزمر:٢٢]. إذ قال: «إشارةٌ إلىٰ حصول النَّتيجة عن ذلك، وأنَّه نَظر فاهتدىٰ. قال: وفي الآية حذفُ التَّقابُل؛ أي فبُشْرىٰ له، ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم﴾، فهُم علىٰ ضلالٍ مِن ربِّهم. وأَسنَد الشَّرحَ إلىٰ الصَّدر مُبالَغةً وتحضيضًا علىٰ الاتِّصاف بأسباب ذلك»[٧١].

الثَّاني: أنْ يَبنِيَ الحذفَ التَّقابُليَّ علىٰ آيتَين:

مِثالُ ذلك ما ذكره عند قَولِه تعالىٰ: ﴿كَلَّا بَلۡ تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ ٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ٢١﴾ [القيامة:٢٠-٢١] إذْ قال: «فإنْ قلتَ: ما ضِدُّ المَحبَّة إلَّا الكراهةُ، وما ضِدُّ التَّرك إلَّا الفعلُ؛ فالجوابُ أنَّه مِن حذفِ التَّقابُل؛ أي تُحِبُّون العاجلة وتُقبِلون عليها، وتكرَهون الآخِرةَ وتَذَرُونها»[٧٢].

الثَّالث: أنْ يَبنِيَ الحذفَ التَّقابُليَّ علىٰ ثلاثِ آيات:

مِثالُ ذلك ما ذكره عند قَولِه تعالىٰ: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ٧ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ٩﴾ [القارعة:٧-٩] إذْ قال: «والآيةُ عندي مِن حذف التَّقابُل؛ أي ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ﴾ ومَرتَبةٍ عاليةٍ، ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ فهو في عِيشةٍ كارِهةٍ وأُمُّهُ هاويةٌ»[٧٣].

(٧١) ابن عرفة، «تفسير الإمام ابن عرفة»، (طبعة دار ابن حزم)، ٤: ٨٩٥.
(٧٢) المرجع السابق، (طبعة دار الكتب العلمية)، ٤: ٣٢٤.
(٧٣) المرجع السابق، (طبعة دار ابن حزم)، ٥: ٦٤٢.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

الرَّابع: أنْ يَبنِيَ الحذفَ التَّقابُليَّ علىٰ خَمسِ آيات:

مِثالُ ذلك ما ذكره عند قَوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢﴾ [الانشقاق:٧-١٢] إذ قال: «عندي في الآية حذفُ التَّقابُل؛ أي: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩﴾ ويُجزَىٰ جَنَّةً وحريرًا، وأمَّا مَن أوتي كتابه بشِماله[٧٤] فسوف يُحاسَب حسابًا عسيرًا ويدعُو ثُبورًا ويَصلَىٰ سعيرًا. قال: والظَّاهرُ أنَّ التَّسمية حاصرة»[٧٥].

(٧٤) كذا في تفسير القرآن الكريم، لابن عرفة، (طبعة دار ابن حزم)، ٥: ٥٧٦، والذي في سورة الانشقاق: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠﴾، ولعلَّ هناك تحريفًا في الأصل أو تصحيفًا في النَّقل.

(٧٥) ابن عرفة، «تفسير الإمام ابن عرفة»، (طبعة دار ابن حزم)، ٥: ٥٧٦.

تنبيه: ورد في طبعة العلمية، ٤: ٣٣٣: «والظَّاهرَّ أنَّ القِسمةَ جاهرة»، وفي نسخ طبعة ابن حزم: [التسمية حاصرة، والتسمية حاضرة] ولعل المراد بقولُه: «حاصرةٌ» هنا - والله أعلم- يعني به أنَّه ليس ثمَّة صِنفٌ ثالثٌ؛ فإمَّا أنْ يكونَ إيتاءُ الكتاب باليمين وإمَّا أن يكونَ مِن وراء الظَّهر بالشِّمال.

المبحثُ الثَّاني

شواهدُ ورودِ هذا الأسلوبِ البلاغيِّ عند ابنِ عرفةَ

سورةُ البقرة

١- قولُه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة:٢٦].

قال ابنُ عرفة: «الآيةُ فيها حذف التَّقابُل؛ أي: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ﴾ ويقولون ذلك بألْسِنَتِهم، ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗا﴾، ويعتقدون ذلك بقلوبهم؛ لذلك لم يَقُلْ في الكافرين: بماذا أراد ربُّنا بهذا مثلًا»(٧٦).

ذَكر ابنُ عرفةَ ﷺ أنَّ سِياقَ هذه الآية الكريمة قد بُنِيَ علىٰ حذف التَّقابُل؛ إذْ حذف مِن شطر الآية الأوَّل: (ويقولون ذلك بألْسِنتِهم) لأنَّ قَولَه في شطرِ الآية الثَّاني: ﴿فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗا﴾ دلَّ عليه، وحَذف مِن شطرِ الآية الثَّاني: (ويعتقدون ذلك بقلوبهم)؛ لأنَّ قَولَه في شطرِ الآية الأوَّل: ﴿فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ﴾ دلَّ عليه.

وعلىٰ ذلك يكون نظمُ الآية - بعد تقدير وجود حذف التَّقابُل فيها عند ابن عرفة - علىٰ النَّحو الآتي:

(٧٦) ابن عرفة، «تفسير الإمام ابن عرفة»، طبعة دار ابن حزم، ١: ١٩٩.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ﴾ (ويقولون ذلك بألْسِنتِهم) ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗا﴾ (ويعتقدون ذلك بقلوبهم) ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦﴾ [البقرة:٢٦](٧٧).

ولعلَّ السِّرَّ في خروج التَّعبير القرآني على هذا النَّظْم والرصف -حيث عبَّر في جانب المؤمنين بالعِلم، الذي يدلُّ على رسوخ الاعتقاد في قلوبهم، وفي جانب الكافرين بالقَوْل الذي يدلُّ على جهلهم وعِنادهم- هو بيانُ حالِ كِلا الفَريقَين؛ فالتَّعبيرُ في جانب المؤمنين بالاعتقاد فيه دلالةٌ بيِّنة على ثباتِ مَوقِفهم وقُوَّةِ منطقهم ونُورِ بصيرتِهم المبنيِّ على الإيمانِ والتَّسليم؛ إذِ اعتقادُ الشَّيء نابعٌ عن التَّفكير في مآلاته وحَسَناته.

ثمَّ إنَّه مِن لوازم إقرار القلب بالإيمان اقترانُه بقَول اللِّسان، كما هو مُتقرِّرٌ في أصول الاعتقاد، وفي بيانه يقول السَّفارينيُّ: «وعند مُحقِّقي السَّلَف أنَّ الإيمانَ وإنْ قُلنا هو التَّصديقُ، إلَّا أنَّه تصديقٌ خاصٌّ مُقيَّدٌ بقيودٍ اتَّصل اللَّفظُ بها، وهذا ليس نقلًا للَّفظِ عن أصل اللُّغة ولا تغييرًا له؛ فإنَّ اللهَ لم يَأمُرْنا بإيمانٍ

(٧٧) هكذا قدَّر ابنُ عرفةَ نظمَ الآية بعد حَملِها على «حذف التَّقابُل»، وقد الْتزمْنا بما قدَّره؛ لكَونه محلَّ الدِّراسة، وينبغي التَّنبيهُ هنا إلى أنَّ تقديرَ نظمِ الآية الذي ذكره ابنُ عرفة مبنيٌّ على أحد قَولَي المفسِّرين في تفسير الآية؛ وهو القَولُ بأنَّ ختامَ الآية مِن باب الخبر من الله ﷻ. وثمَّة قَولٌ آخَرُ ذهب إلى أنَّ ختامَ هذه الآية مِن قَول الكافرين، لا مِن باب الخبر مِن الله ﷻ. وقد بيَّن هذا الخلافَ الإمامُ القُرطُبيُّ فقال: «قَولُه تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗا﴾ قيل: هو مِن قَول الكافرين؛ أي ما مرادُ الله بهذا المَثَل الذي يفرِّق به النَّاسَ إلى ضلالةٍ وإلى هُدًى. وقيل: بلْ هو خبرٌ مِن الله ﷻ. وهو أشبهُ؛ لأنَّهم يُقِرُّون بالهُدى أنَّه مِن عنده، فالمعنى: قُلْ يُضِلُّ اللهُ به كثيرًا ويهدي به كثيرًا؛ أي يُوفِّق ويَخذُل». محمد بن أحمد القرطبي، «الجامع لأحكام القرآن»، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (ط٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م)، ١: ٢٤٤.

مُطلَقٍ، بلْ بإيمانٍ خاصٍّ وصفه وبيَّنه؛ وهو تصديقٌ تامٌّ قائمٌ بالقلب، مُستَلزِمٌ لِما وَجب مِن الأعمال القلبية وأعمال الجوارح؛ فإنَّ هذه لوازمُ الإيمانِ التَّامِّ، وانتفاءُ اللَّازم دليلٌ علىٰ انتفاء الملزوم؛ ولهذا قال: «قَولٌ باللِّسان»؛ فمَن لم يُقِرَّ ويُصدِّقْ بلسانه مع القُدرة فليس بمؤمن، كما اتَّفق علىٰ ذلك سَلَفُ الأُمَّة مِن الصَّحابة والتَّابعين لهم بإحسان»[٧٨].

وأمَّا التَّعبيرُ في جانب الكافرين بالقَول -الذي جاء علىٰ هيئة استفهامٍ استنكاريٍّ منهم- فدليلٌ علىٰ تَخبُّطِ أحوالهم وسُوءِ مُعتقَداتهم وطَمْسِ بصيرتهم وجَهلهم، فإنَّهم لم يَتفطَّنوا إلىٰ الحقائق والحُجَج والبراهين التي اشتمل عليها المَثَلُ واستغلقوا معناه؛ فبادَرُوا بالاستنكارِ قَولًا فاستَفهَموا عنه استفهامَ إنكارٍ لِمَوقِعِه[٧٩]، وما ذلك إلاَّ دليلٌ بيِّنٌ علىٰ سَفهِ عقولهم وجَفائهم، ومُبالَغةٌ في ذَمِّهم؛ لأنَّ الاستفهامَ إمَّا لِعدمَ العلم أو للإنكار، وكلٌّ منهما يدلُّ علىٰ الجهل دَلالةً واضحةً.

وقيل: إنَّ (يقولون) لا يدلُّ صريحًا علىٰ العِلم وهو المقصودُ، والكافرون منهم الجاهلُ والمُعاند فـ(يقولون) أشملُ وأجمعُ[٨٠]؛ لذا جاء النَّظْمُ الكريم بذِكر أخصِّ أحوال كِلا الفَريقَين إيجازًا ولفتًا له، وحَذَفَ ما سِوَىٰ ذلك؛ اعتمادًا علىٰ فِطنة القارئ إلىٰ تقدير المحذوف، الذي سنَبني عليه ذِكرَ مُعتقَدِ كلِّ فريقٍ وقَولِه. والله تعالىٰ أعلم.

---

(٧٨) محمد بن أحمد السفاريني، «لوامع الأنوار البهيَّة وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضيَّة»، (ط٢، دمشق: مؤسسة الخافقين، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م)، ١: ٤٠٤.

(٧٩) ينظر: إبراهيم بن عمر البقاعي، «نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسور»، (د.ط، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ت)، ١: ٢٠٥.

(٨٠) ينظر: محمود بن عبد الله الآلوسي، «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني»، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ)، ١: ٢١٠.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

وقد وافق ابنَ عرفة من المفسِّرين في الإشارة لهذا النَّوع البلاغي في الآية البِقاعيُّ[٨١].

٢- قولُه تعالىٰ: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [البقرة:٣٨-٣٩].

قال ابنُ عرفة: «وفي الآية عندي حذفُ التَّقابُل، والمعنىٰ: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ﴾ فأُولئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ، ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ أي لا حُزْنٌ عليهم ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ وعليهم الخَوفُ وهُم يحزنون»[٨٢].

ذَكر ابنُ عرفةَ ﷺ أنَّ سِياقَ هذه الآية الكريمة قد بُنِيَ علىٰ حذف التَّقابُل؛ إذْ حَذف مِن شطرِ الآية الأوَّلِ: (فأولئك أصحابُ الجنَّة هُم فيها خالدون)؛ لأنَّ قولَه في شطرِ الآية الثَّاني: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ دلَّ عليه، وحَذف مِن شطرِ الآية الثَّاني: (وعليهم الخَوفُ وهُم يَحزنون)؛ لأنَّ قولَه في شطرِ الآية الأوَّل: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ دلَّ عليه.

وعلىٰ ذلك يكون نظمُ الآيتَين -بعْد تقدير وجود حذف التَّقابُل فيهما عند ابن عرفة- علىٰ النَّحو الآتي:

﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ﴾ (فأولئك أصحابُ الجنَّة هُم فيها خالدون) ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

(٨١) ينظر: البقاعي، «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، ١: ٢٠٥-٢٠٦.

(٨٢) ابن عرفة، «تفسير الإمام ابن عرفة»، (طبعة دار ابن حزم)، ١: ٢٥٤.

﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ (وعليهم الخَوفُ وهُم يَحزَنون) [البقرة:٣٨-٣٩].

ولعلَّ السِّرَّ في خروج التَّعبير القرآني على هذا النَّظْم والرَّصْف هو المُناسَبةُ لسِياق القصَّة؛ فإنَّ الخِطابَ القرآني لَمَّا صُدِّر بقَولِه -عزَّ شأنه- لآدمَ وحوَّاءَ: ﴿قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗا﴾ كان ذلك داعيًا لتَسلُّلِ الرَّهبة والفزع إلى قلوبهم؛ فجاء تركيبُ النَّظْم على هذا النَّحْو تطمينًا لهم ورحمةً ورِفقًا بهم، مع ما فيه مِن الدَّلالة والإرشاد لهم ولذُرِّيَّتِهم؛ فهُو سبحانه -وإنْ أهبطهما مِن الجنَّة إلى الأرض- قد أنعم عليهما بما يُوصِلهما إلى تلك المنزِلة الرَّفيعة مَرَّةً أخرى مع الدَّوام الذي لا ينقطع، فضلًا عمَّا في المذكور مِن الإشارة الجامعة إلى ما أعدَّه الله تعالى لأوليائه؛ إذْ زوالُ الخَوف يَتضمَّن السَّلامةَ مِن جميع الآفات، وزوالُ الحُزن يَقتضي الوصولَ إلى كلِّ اللَّذَّات والمُرادات[٨٣].

وفي سِياق ذلك يقول الآلُوسيُّ: «فالمَنفيُّ عن الأولياء خَوفُ حُلولِ المكروه والحُزن في الآخرة. وفيه إشارةٌ إلى أنَّه يُدخِلهم الجنَّةَ التي هي دارُ السُّرور والأمن لا خَوفٌ فيها ولا حُزنٌ؛ وحينئذٍ يَظهَر التَّقابُلُ بين الصِّنفَين في الآيتَين»[٨٤]، وبذلك يَظهر وجهٌ مِن أوجُه الإيجاز في النَّظْم بذِكر انتفاءِ الخَوف والحُزن عنهم؛ ليَدُلَّ على تلك المعاني السَّامية مع مُراعاة مُناسَبة السِّياق.

وأمَّا في الجانب الآخَر من الآية فقد آثَر ﷺ ذِكرَ جزاءِ الكُفر والتَّكذيب وعاقِبتِه الوخيمة بقَولِه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾؛ لأنَّه الأعمُّ والأشملُ في بيان قُبح الكُفر وسُوء مآلاته، ولأنَّه أشدُّ في التَّرهيب منه،

(٨٣) ينظر: محمد بن عمر الرازي، «مفاتيح الغيب»، (ط٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ)، ٣: ٤٧٢.

(٨٤) الآلوسي، «روح المعاني»، ١: ٢٤٠.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

وتَرَكَ ذِكرَ ما لا يشكُّ عاقلٌ فيه، إذْ إنَّ مَن كُتب عليه الخلودُ في النَّار فقد عُلم وُقوعُه في دَرَكات الشَّقاء ومُلابَستِه للخَوفِ والحُزن الأَبديَّين لا مَحالةَ. وقد وصفهم ﷻ في مَوضِعٍ آخَرَ قائلًا: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾ [إبراهيم:٤٣]؛ أي: هي خاليةٌ لا تَعِي شيئًا ولا تَعقِل أمرًا مِن شِدَّة الخَوف، وشُبِّهتْ بالهواء؛ لأنَّ اضطرابَ أفئدتهم وجَيَشانَها في صدورهم وشِدَّةَ حركتها حتَّىٰ تَبلُغَ -علىٰ ما رُويَ- حَناجِرَهم كالهواء الذي هو أبدًا في اضطراب[٨٥]. فدلَّ النَّظمُ الكريم بإيجازه وإعجازه علىٰ جميع تلك المعاني، مع اقتصاره في الذِّكر علىٰ الأشدِّ مُناسَبةً لسِياق الآيات. والله أعلم.

وقد وافق ابنَ عرفة من المفسِّرين في الإشارة لهذا النَّوع البلاغي في الآية البِقاعيُّ[٨٦].

(٨٥) ينظر: عمر بن محمد النسفي، «التَّيسير في التَّفسير»، تحقيق: ماهر أديب حبوش وآخرين، (ط١، إسطنبول- تركيا: دار اللباب، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩ م)، ٩: ١٥١، وعبد الحق بن غالب بن عطية، «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ)، ٣: ٣٤٥، وعبد الرحمن بن علي بن الجوزي، «تذكرة الأريب في تفسير الغريب (غريب القرآن الكريم)»، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٥ هـ-٢٠٠٤م)، ص١٨٦.

(٨٦) ينظر: البقاعي، «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، ١: ٣٠٢.

سورة آل عمران

٣- قوله تعالىٰ: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾[آل عمران:١٣].

قال ابنُ عرفة: «وإمَّا أنَّ في الآية حذفَ التَّقابُل؛ أي ﴿فِئَةٌ﴾ مؤمنةٌ ﴿تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ تُقاتل في سبيل الطَّاغوت»(٨٧).

ذَكر ابنُ عرفةَ ﵀ أنَّ سِياقَ هذه الآية الكريمة يحتمل أنْ يكونَ مبنيًّا علىٰ حذف التَّقابُل؛ إذْ حُذف مِن شَطر الآية الأول: (مؤمنة) لأنَّ قولَه في شطرِ الآية الثَّاني: ﴿وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ دلَّ عليه، وحَذف مِن شطرِ الآية الثَّاني: (تُقاتِل في سبيل الطَّاغوت)؛ لأنَّ قولَه في شطرِ الآية الأوَّل: ﴿تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دَلَّ عليه.

وعلىٰ ذلك يكون نظمُ الآية -بعد تقدير وجود حذف التَّقابُل فيها عند ابن عرفة- علىٰ النَّحو الآتي:

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ﴾ (مؤمنة) ﴿تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ (تقاتل في سبيل الطاغوت) ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾ [آل عمران:١٣].

ولعلَّ السِّرَّ في سَبْكِ التَّعبير القرآني علىٰ هذا النَّحْوِ مجيءُ الآيات في سياق الحديثِ عن الجهاد وتثبيتِ نفوس المؤمنين وترغيبِهم في إعلاء كلمة الله، وترهيبِ الكافرين مِن سُوء المآل والعاقبة؛ وذلك ببيانِ الآية والكرامة والمُعجِزة في خروج المسلمين غيرَ مُتأهِّبين ولا قاصدين الحرب -آنذاك- في غزوة بدر

(٨٧) ابن عرفة، «تفسير الإمام ابن عرفة»، (طبعة دار ابن حزم)، ٢: ٧١.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

علىٰ قَولِ أكثرِ المفسِّرين، مع ضَعفِ شَوكَتِهم وقِلَّتِهم وقُصورِ أسباب الحرب مِن سلاحٍ وعُدَّةٍ في مُقابَلة الأعداء مع كثرتهم وتمام عِزَّتهم وشِدَّة شَكيمتهم واستعدادهم للحرب والقتال، إلَّا أنَّ حُسنَ العاقبة والنَّصر كانا حليفًا للقِلَّة المؤمنة[٨٨]؛ فنَاسَب أنْ يُذكَرَ في جانب المؤمنين أخصُّ أحكام الإيمان وصِفاتِه وأشرفُها وأعلىٰ درجاته ولازِمُه؛ فبُنِيَ اللَّفظُ في هذا الجانب علىٰ مدحهم بما يليق بالمقام إشارةً إلىٰ الاعتداد بقتالهم، وإيذانًا بأنَّه عليه المَدارُ في تحقُّق الآية. أمَّا في جانب الفئة الأخرىٰ فقد بُنِيَ اللَّفظُ علىٰ الذَّمِّ والتَّقبيح بذِكرِ أخسِّ صِفاتهم وملزُومِ القتال في سبيل الشَّيطان وهو الكفرُ بالله، وفي ذلك تضمينٌ لِمَعانٍ جليلةٍ، تدلُّ علىٰ إسقاط قتالهم عن درجة الاعتبار، وأنَّهم لم يَتصَدَّوْا له لِما عَراهم مِن الهَيْبة والوَجَل[٨٩]. والله أعلم.

وقد وافق ابنَ عرفة من المفسِّرين في الإشارة لهذا النَّوع البلاغي في الآية البِقاعيُّ[٩٠].

---

(٨٨) ينظر: أبو منصور الماتريدي، «تأويلات أهل السنة»، تحقيق: مجدي باسلوم، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م)، ٢: ٣١٩؛ ومنصور بن محمد السمعاني، «تفسير القرآن»، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، (ط١، الرياض: دار الوطن، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م)، ١: ٢٩٨؛ والحسين بن مسعود البغوي، «معالم التنزيل في تفسير القرآن»، تحقيق: محمد عبد الله النمر- عثمان جمعة ضميرية- سليمان مسلم الحرش، (ط٤، د.م: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م)، ٢: ١٣؛ النسفي، «التَّيسير في التَّفسير»، ٣: ٤٧٨؛ ابن عطية، «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»، ١: ٤٠٦؛ محمد بن يوسف أبو حيان، «البحر المحيط في التفسير»، تحقيق: صدقي محمد جميل. (د.ط، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ)، ٣: ٤٥؛ محمد بن محمد أبو السعود، «إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم»، (د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)، ٢: ١٢؛ الآلوسي، «روح المعاني»، ٢: ٩٢.

(٨٩) ينظر: أبو حيان، «البحر المحيط في التفسير»، ٣: ٤٥؛ أبو السعود، «إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم»، ٢: ١٢؛ الآلوسي، «روح المعاني»، ٢: ٩٢.

(٩٠) ينظر: البقاعي، «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، ١٠: ٤٩.

٤- قَولُه تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [آل عمران:١٠٦-١٠٧].

قال ابنُ عرفة: «تَقدَّم منَّا سؤالٌ، هو: لِمَ ذُكر سببُ تعذيب أولئك وعُدِّد لهم وهُدِّدوا، ولم يُذكر سببُ رحمةِ هؤلاء وثوابهم، فلم يَقُلْ (وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ)، فيقال لهم اهتدَيتُم إلىٰ الإيمان واتَّبعتُم الرَّسولَ فأنتُم خالدون في رحمة الله؟ قال: والجواب: إمَّا أنَّه مِن حذفِ التَّقابُل، وإمَّا بأنَّ هذا جرىٰ علىٰ الصَّفح المألوف مِن فُضلاء الملوكِ والأشرافِ في الدُّنيا أنَّ مَن عَصاهم يُعذِّبونه ويُعدِّدون عليه أفعالَه القبيحة زيادةً في عذابه بالقَول والفِعل، ومَن تكرَّموا عليه فأطاعهم يكافئونه بمجرَّد إسداء النِّعَم عليه، ولا يُذكِّرونه بما سَلَفَ له حَسْبما قال الشَّاعرُ:

وإنِ امرؤٌ أَسدَىٰ إليَّ بنِعمةٍ ... وذكَّر فيها مَرَّةً لبخيل[٩١]

قلتُ: وأشار إلىٰ: تعذيبُ الله لهم عدلٌ وجزاء عن كُفرهم، ورحمتُه بهم محضُ تفضيلٍ لا جزاءُ عملهم بوجهٍ»[٩٢].

ذَكر ابنُ عرفةَ ﷺ أنَّ سِياقَ هذه الآية الكريمة يحتمل أنْ يكونَ مبنيًّا علىٰ حذف التَّقابُل؛ إذْ حَذَف مِن شطر الآية الأول: (فعليكم اللَّعنةُ) لأنَّ قولَه في شطرِ الآية الثَّاني: ﴿فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ دلَّ عليه، وحَذف مِن شطرِ الآية الثَّاني: (فيقال لهم اهتدَيتُم إلىٰ الإيمان واتَّبعتُم الرَّسولَ) لأنَّ قولَه في شطرِ الآية الأوَّل: ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ دلَّ عليه.

(٩١) سبق التَّعليقُ علىٰ البيت.

(٩٢) ابن عرفة، «تفسير الإمام ابن عرفة»، (طبعة دار ابن حزم)، ٢: ٢١١.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

وعلىٰ ذلك يكون نظمُ الآيتَين -بعد تقدير وجود حذف التَّقابُل فيهما عند ابن عرفةَ- علىٰ النَّحو الآتي:

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ (فعليكم اللَّعنةُ) ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ١٠٦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ (فيقال لهم اهتَديتُم إلىٰ الإيمان واتَّبعتُم الرَّسولَ) ﴿فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١٠٧﴾ [آل عمران:١٠٦-١٠٧].

ولعلَّ السِّرَّ في بناء النَّظْم علىٰ الحذف التَّقابُلي أنَّ الآيةَ جاءت في سِياق التَّرغيب والتَّرهيب؛ إذ سَبقها الأمرُ بالإيمانِ بالتَّوحيدِ والنُّبوَّة، والزَّجرُ عن الكُفرِ بهما والإعراضِ عنهما. ثمَّ إنَّه -جلَّ شأنُه- أَتْبَع ذلك بذِكر الجزاء المُقتضِي أنْ يكونَ ابيضاضُ الوجه نصيبًا لِمن آمَن بالتَّوحيد والنُّبوَّة، واسوِدادُ الوجه يكون نصيبًا لِمن أنكر ذلك؛ فجاءت الألْفاظُ التي بُنِيَ عليها سِياقُ الآية بذِكر الأليَق بمَقام كِلا الفَريقَين؛ ففي جانب الذين اسْودَّت وُجوهُهم ذَكر مُسبِّباتِ العذاب تبكيتًا وتوبيخًا لهم، وإنكارًا وتعجيبًا مِن حال كُفرهم بعد انبلاج دلائل الإيمان وصِدقِ النُّبوَّة كما بيَّنت الآيات السَّابقة في قَولِه تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠٥﴾ [آل عمران:١٠٥]، وتغليظًا عليهم وتحذيرًا مِن التَّشبُّه بهم، فضلًا عمَّا في المذكور مِن البيانِ التَّامِّ لكمال عَدلِه في حُكمه، وانتفاءِ الظُّلْم والجَوْر عنه جلَّ شأنُه؛ فنَاسَب بناءُ الآية علىٰ هذا النَّحو مِن الإيجاز للَفْتِ الانتباه إلىٰ تلك المعاني السَّامية، فضلًا عن تَضمُّنها المعنىٰ المحذوف، أمَّا في جانب الذين ابيَّضتْ وُجوهُهم فقد آثَر ذِكرَ الرَّحمة إشعارًا بفضلِه ومِنَّتِه ﷻ، وترغيبًا في الاستظلال بظِلال الرَّجاء، ولأنَّها الأصلُ في التَّوفيق للأعمال الصَّالحة، ومِن ثمَّ قَبُولها منهم وإثابتهم عليها؛ إذِ المؤمنُ -وإنِ استغرق عُمرَه في طاعة الله تعالىٰ-

لا استحقاقَ له لنَعيم الجنَّة إلَّا برحمته ﷺ؛ مِصْداقًا لِما ورد في الخبر: «لَنْ يَدْخُلَ أَحَدُكُمْ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ»(٩٣)(٩٤). وبذلك يَتجلَّىٰ وجهٌ مِن أوجُه إعجاز القرآن البياني في إيجازه اللَّفظي مع ما يَتضمَّنه السياق مِن المعاني التي لا تَنضَبُ كثرةً. والله أعلم.

وقد وافق ابنَ عرفة من المفسِّرين في الإشارة لهذا النَّوع البلاغي في الآية البِقاعيُّ(٩٥).

٥- قولُه تعالىٰ: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [آل عمران:١١٧].

قال ابنُ عرفة: «لَمَّا تَضمَّن الكلامُ السَّابق أنَّ أموالَهم وأولادهم لا تُغْني عنهم شيئًا عقَّبه ببيانِ عاقبة ما يُنفِقون مِن أموالهم، وهذا إمَّا إبطالٌ لها مِن أصلها أو إبطالٌ لثمرتها؛ لأنَّ المالَ في الدُّنيا تارةً يكون البَخْسُ فيه بعدمِ حركته وتركِ التَّجْر به، وتارةً يكون البخسُ فيه مِن حَوالةِ الأسواق فيه بالخَسارة، وهو أظهَرُ في التَّشبيه هنا، وهلْ هو تشبيهُ مفرَدٍ بمُفردٍ واحدٍ كقَولِه تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٧٧] ففيه حذفُ شيءٍ واحدٍ إمَّا مِن الأوَّل أو مِن

(٩٣) الحديثُ صحيح: أخرجه البخاريُّ بنحوه في «صحيحه»، كتاب المرضىٰ، باب: تَمنِّي المريضِ الموتَ، ح: ٥٦٧٣؛ ٧: ١٢١؛ ومسلمٌ بنحوه في «صحيحه»، كتاب صِفة القيامة والجنَّة والنَّار، باب: لن يدخل أحدٌ الجنَّةَ بعمله، ح: ٢٨١٦؛ ٨: ١٣٩.

(٩٤) ينظر: النسفي، «التَّيسير في التَّفسير»، ٤: ١٩٥؛ الرازي، «مفاتيح الغيب»، ٨: ٣١٨؛ أبو السعود، «إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم»، ٢: ٦٩؛ والآلوسي، «روح المعاني»، ٢: ٢٤٢.

(٩٥) ينظر: البقاعي، «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، ٥: ٢٢.

معتمدة في معامل أرسيف لعام 2024
DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

الثَّاني، أو مِن حذفِ التَّقابُلِ وشبَّه فيه إنفاقَهم وإحباطَه في الآخِرة بالزَّرْعِ الأخضر وإهلاكِه بالرِّيح»[٩٦].

ذَكر ابنُ عرفةَ أنَّ في هذه الآية حذفَ تَقابُلٍ؛ حيث حَذف مِن شطرِ الآية الأوَّل: (إحباطِه) لأنَّ قولَه في شطرِ الآية الثَّاني: ﴿فَأَهْلَكَتْهُ﴾ دلَّ عليه، وحَذف مِن شطرِ الآية الثَّاني: (مُهْلِكِ) لأنَّ قولَه في شطرِ الآية الأوَّل: ﴿يُنفِقُونَ﴾، دل عليه[٩٧].

فالإحباط محذوف ناب عنه الإهلاك المذكور، والحرث (المهلك) محذوف ناب عنه النفاق المذكور.

وعلىٰ ذلك يكون نظمُ الآية -بعد تقدير وجود حذف التَّقابُل فيها عند ابن عرفة- علىٰ النَّحو الآتي:

﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ﴾ (وإحباطِه) ﴿فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ﴾ (مُهْلِكِ) ﴿رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [آل عمران:١١٧].

وقد شبّه اللهُ ﷻ في هذه الآية المِثالَ القائِمَ في النُّفوسِ -مِن إنفاقهم الذي يَعُدُّونه قُربةً وحِسْبةً وتَحنُّثًا، ومِن حَبْطِه لهم يومَ القِيامة وكَونِه هباءً منثورًا وذَهابِه- بالمِثالِ القائم في النُّفوسِ مِن زَرْعِ قَومٍ نَبَتَ واخضرَّ حتَّىٰ قَوِيَ الأملُ فيه فهَبَّتْ عليه آنذاك رِيحٌ فيها صِرٌّ مُحرِقٌ فأَهلَكتْه[٩٨]؛ فما يُنفِقون أشبهُ- في كَوْنه لم يَنفَعْهم في الدُّنيا بإنتاج ما أرادوا في الدُّنيا، وضَرَّهم في الدَّارَين- بالزَّرْعِ

---

(٩٦) ابن عرفة، «تفسير الإمام ابن عرفة»، (طبعة دار ابن حزم)، ٢: ٢٢٣.

(٩٧) استفدنا في شرحِ تقدير المحذوف في حذف التَّقابُل وبيانِه مِن الأقوال التي ستأتي في ثنايا دراسة الشَّاهد بالتَّعاضُد بينها وبين قول ابن عرفة.

(٩٨) ينظر: ابن عطية، «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»، ١: ٤٩٤-٤٩٥.

الـموصوف فإنَّه لـم يَنفَـعْ أهلَـه الـموصُوفين، بـلْ ضَرَّهـم في الدُّنيـا بضَياعـه، وفي الآخِـرة بمـا قَصـدوا بـه مِـن الـمقصود الفاسـد، ومَثَـلُ إنفاقِهـم لـه في كَوْنِـه ضَرَّهـم ولـم يَنفَعْهـم، مَثَـلُ الرِّيـح في كَوْنِهـا ضَـرَّتِ الـزَّرْعَ ولـم تَنفَعْـه؛ فلمَّـا كانـت الرِّيـحُ الـموصوفةُ أمـرًا مُشـاهَدًا جليًّا جَعَلـتْ في إهلاكهـا مَثـلًا لضَّـياع إنفاقهـم، الـذي هـو أمرٌ معنـويٌّ خَفِـيٌّ، ولَمَّـا كان الزَّرعُ الـمُحترقُ أمـرًا محسوسًـا جعَل فيمـا حَصَـل لـه بعْـد التَّعَـب مِـن العَطَـب مِثـالًا لأمـرٍ معقـول -وهـو أموالُهـم في كَـونِ إنفاقهـم إيَّاهـا لـم يُثمِـرْ لهـم شـيئًا غيـرَ الخَسـارة والتَّعَـب[٩٩]- كمَـن زَرعـوا زَرْعًـا يَرجُـون نتيجتَـه ويُؤمِّلـون إدراكَ رِيعِـه، فبيْنمـا هُـم كذلـك إذْ أَصابتْـه رِيـحٌ فيهـا صِـرٌّ -أي: بـردٌ شـديدٌ مُحـرِقٌ- فأَهلكـتْ زَرْعَـه، ولـم يَحصُـل لهـم إلَّا التَّعبُ والعَنـاء وزيادة الأسـف[١٠٠].

والتَّشـبيهُ بضَيـاعِ الـزَّرْع أظهـرُ؛ فهـو مَثَـلٌ لِضَيـاعِ الإنفـاق لأنَّـه أخفـىٰ[١٠١]؛ فتحقيـقُ الـمَثَل إنَّمـا هـو للحَـرْثِ[١٠٢]، ولعـلَّ الآيـةَ خَرجـتْ علـىٰ هـذا الفـنِّ البلاغـي -بإظهـار مـا أَظهَـر وإضمـار مـا أَضمَـر- لهـذه العِلَّـةِ وغَيرهـا؛ حيـث وقـع التَّشـبيهُ بيـن شَـيئَين وشَـيئَين، ذَكَـر اللهُ ﷻ أحـدَ الشَّـيئَين الـمُشبَّهَين وتـرك الآخَـرَ، ثـمَّ ذَكـر أحـدَ الشَّـيئَين الـمُشبَّه بهمـا -وليـس الـذي يـوازي المذكـورَ الأول- وتَـرَك ذِكـرَ الآخَـر، ودلَّ المذكُـوران علـىٰ الـمَتروكَين[١٠٣]، وإنَّمـا احتِيـج لهـذا؛ لأنَّ مـا ينفقـون

(٩٩) ينظر: البقاعي، «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، ٥: ٣٦.

(١٠٠) ينظر: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م)، ص١٤٤.

(١٠١) ينظر: البقاعي، «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، ٥: ٣٦.

(١٠٢) ينظر: مكي بن أبي طالب ابن محمد بن مختار القيسي، «الهداية إلىٰ بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه»، (ط١، الإمارات: جامعة الشارقة، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م)، ٢: ١١٠٤.

(١٠٣) ينظر: ابن عطية، «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»، ١: ٤٩٤-٤٩٥.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

ليس تشبيهًا بالرِّيح، إنَّما هو تشبيهٌ بالزَّرع الذي أهلكتْه الرِّيحُ(١٠٤)، وهذه غايةُ البلاغة والإيجاز(١٠٥).

وقد وافق ابنَ عرفة مِن المفسِّرين في الإشارة لهذا النَّوع البلاغي في الآية البِقاعيُّ(١٠٦).

٦- قولُه تعالىٰ: ﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ١٢٠﴾ [آل عمران:١٢٠].

قال ابنُ عرفة: «وفي الآية حذفُ التَّقابُل. قال: وذلك أنَّ حُصولَ الأمرِ المُلائمِ المُعبَّر عنه بالحسنة سببٌ في الفرح، والأمرُ المُؤلم المُعبَّر عنه بالسَّيِّئة سببٌ في الحزن؛ فإذا مَسَّتِ المؤمنين حسنةٌ حَصَل للمنافقين أمران: ضَرَرٌ في أبدانهم وهُو مَشقَّةُ مُشاهَدتِهم ذلك وسَماعِه، وحُزْنٌ في قلوبهم. وإذا مَسَّت المؤمنين سيِّئةٌ حَصَل للمنافقين بذلك تَنعُّمٌ في أبدانهم بمُشاهَدتِهم ذلكِ وسَماعِهم إيَّاه، وفرحٌ في قلوبهم وابتهاجٌ في نُفوسهم؛ فكأنَّه يقول: ﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ﴾ ويَحزَنوا بها، ﴿وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ﴾ يَتنعَّموا و﴿يَفۡرَحُواْ بِهَا﴾؛ لأنَّ السُّوءَ ضِدُّ التَّنعُّم، والحُزنُ ضِدُّ الفَرَح؛ أي إذا تَنعَّمتُم تَضرَّروا هُم وحَزِنوا، فإذا أصابكم سُوءٌ في ضررٍ تَنعَّموا وفَرِحوا»(١٠٧).

ذَكر ابنُ عرفةَ ﷺ أنَّ سِياقَ هذه الآية الكريمة مَبنيٌّ علىٰ حذفِ التَّقابُل؛

(١٠٤) ينظر: محمد بن أحمد ابن جزي، «التسهيل لعلوم التنزيل»، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، (ط١، بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ١٤١٦هـ)، ١: ١٦٢-١٦٣.

(١٠٥) ينظر: ابن عطية، «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»، ١: ٤٩٤-٤٩٥.

(١٠٦) ينظر: البقاعي، «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، ٥: ٣٦.

(١٠٧) ابن عرفة، «تفسير الإمام ابن عرفة»، (طبعة دار ابن حزم)، ٢: ٢٣١.

إذْ حَذف مِن شطرِ الآية الأوَّل: (ويحزنون بها)؛ لأنَّ قولَه في شَطرِ الآية الثَّاني: ﴿يَفْرَحُواْ بِهَا﴾ دلَّ عليه، وحَذف مِن شطرِ الآية الثَّاني: (ويَتنعَّمُوا) لأنَّ قولَه في شطرِ الآية الأوَّل: ﴿تَسُؤْهُمْ﴾ دلَّ عليه.

وعلىٰ ذلك يكون نظمُ الآية -بعد تقدير وجود حذف التَّقابُل فيها عند ابن عرفة- علىٰ النَّحو الآتي: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ (ويَحزَنُوا بها) ﴿وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا﴾ (ويَتنعَّمُوا) ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [آل عمران:١٢٠].

ولعلَّ السِّرَّ في سَبْكِ النَّظْمِ وحَبْكِه علىٰ الحذفِ التَّقابُلي هو أنَّ السِّياقَ لَمَّا جاء مُفصَّلًا لأحوال أعداءِ الإسلام فيما ينال المسلمين مِن الخَير أو الابتلاء بالشِّدَّة ناسَب أنْ يَأتيَ اللَّفظُ في الجانب الأوَّل -مِن تفصيلِ أحوالهم عند نُزول الخير بالمسلمين- مُوجَزًا جامعًا وشاملًا لوصفِ ما يعتريهم مِن البُؤس والاغتمام والحُزن عند أدنىٰ طُروء الحَسَنة للمؤمنين؛ سواءٌ كان ذلك بنصرٍ أو غَنيمةٍ أو خِصْبٍ وسَعةِ حالٍ أو رخاءٍ أو غَيرِه مِن النَّعيم(١٠٨)؛ لِذا آثَر ذِكرَ لفظِ ﴿تَسُؤْهُمْ﴾ لِما يدلُّ عليه اللَّفظُ بإيجازه مِن فَرطِ مُعاداتَهم وحسدِهم وغايةِ بُؤسهم علىٰ ما نال المسلمين مِن الخَير؛ إذِ السُّوءُ -كما عرَّفه أهلُ اللُّغة- اسم جامع للآفات والأدواء، ويحتمل كلَّ أمرٍ قبيحٍ ومكروهٍ، ومنه قراءةُ بعضهم: (عليهم دائرةُ السُّوءِ)؛ يَعْني الهزيمَة والشَّرَّ(١٠٩). فكان مِن تمام البلاغة الاكتِفاءُ

(١٠٨) ينظر: محمود بن عمرو الزمخشري، «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل»، (ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ)، ١: ٤٠٧؛ وابن عطية، «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»، ١: ٤٩٨؛ والرازي، «مفاتيح الغيب»، ٨: ٣٤٣.

(١٠٩) ينظر: الصاحب الكافي، إسماعيل ابن عباد، «المحيط في اللغة»، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، (ط١، بيروت: عالم الكتب، ١٤١٤ه -١٩٩٤م)، ٨: ٤١٥؛ والجوهري، «الصِّحاح تاج اللغة»، ١: ٥٦؛ وابن فارس، «مقاييس اللغة»، ٣: ١١٣.

معتمدة في معامل أرسيف لعام 2024
DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

بذِكره؛ لأنَّه دالٌّ دَلالةَ الْتِزامٍ علىٰ اقترانه بالحُزن والكَرْب، أمَّا في الجانب الآخَر فقد ناسَب أنْ يَذكُرَ مِن تفصيلِ أحوالهم عند ابتلاء المؤمنين بالمِحَنِ لفظَ «الفرح»؛ لأنَّه أدلُّ علىٰ خُبثِ نُفوسهم وقُبح أفعالهم بتَربُّصهم السُّوءَ بالمؤمنين، بلْ تَفيض له قُلوبُهم فرحًا وطَربًا؛ ففي اللَّفظ دَلالةٌ علىٰ أنَّ مَناطَ فرحهم ومَدارَه هو تمامُ إصابةِ السَّيِّئة[١١٠]، وهو مُتضمِّنٌ معنىٰ تَنعُّمهم بذلك بالالْتزام، وممَّا يؤيِّد ذلك قَولُ الرَّاغب الأصفهاني: «والفرحُ هو انشراحُ الصَّدر بلَذَّةٍ عاجلةٍ غيرِ آجِلة، وذلك يكون في اللَّذَّات البَدنيَّة الدُّنيويَّة»[١١١]، إلَّا أنَّ السِّياقَ بُنِيَ علىٰ الإيجاز مكتفيًا بلفظ الفرحِ الدَّالِّ علىٰ تلك المعاني البليغة، وإشعارًا بأنَّهم وإنْ تَنعَّموا بذلك فإنَّه نَعيمٌ موقُوتٌ لأجَله ثمَّ إلىٰ زوالٍ فلا يُعتَدُّ به؛ كما قال تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ﴾ [الأنعام:٤٤]؛ لِذا آثَر تَرْكَ ذِكرِ غَيرِه. والله أعلم.

٧- قَولُه تعالىٰ: ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ ١٢٨﴾ [آل عمران:١٢٨].

«قال ابنُ عرفة: فيه عندي حذفُ التَّقابُل؛ لأنَّ التَّوْبةَ لا تُقابِل العذابَ، وإنَّما تُقابِل المعصيةَ؛ فالتَّقديرُ: ﴿أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ﴾ فيَرحَمَهم، ﴿أَوۡ﴾ يَدُومُوا علىٰ كُفرهم فـ ﴿يُعَذِّبَهُمۡ﴾؛ فحَذف مِن الأوَّل نقيضَ ما ذَكر في الثَّاني، ومِن الثَّاني نقيضَ ما ذَكر مِن الأوَّل»[١١٢].

(١١٠) ينظر: أبو السعود، «إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم»، ٢: ٧٧.

(١١١) الراغب الأصفهاني، «الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة»، تحقيق: أبو اليزيد أبو زيد العجمي. (د.ط، القاهرة، دار السلام، ١٤٢٨ هـ-٢٠٠٧م)، ص٢٣٩.

(١١٢) ابن عرفة، «تفسير الإمام ابن عرفة»، (طبعة دار ابن حزم)، ٢: ٢٤٠.

ذَكر ابنُ عرفةَ ﷺ أنَّ سِياقَ هذه الآيةِ الكريمة قد بُنِيَ علىٰ حذفِ التَّقابُل؛ إذْ حَذف مِن شطرِ الآية الأوَّل: (فيرحمهم)؛ لأنَّ قولَه في شطرِ الآية الثَّاني: ﴿يُعَذِّبَهُمْ﴾ دلَّ عليه، وحَذف مِن شطرِ الآية الثَّاني: (يَدُومُوا علىٰ كُفرهم) لأنَّ قولَه في شطرِ الآية الأوَّل: ﴿يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ دلَّ عليه.

وعلىٰ ذلك يكون نظمُ الآية -بعد تقدير وجودِ حذف التَّقابُل فيها عند ابن عرفة- علىٰ النَّحو الآتي:

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ (فيرحمهم)، ﴿أَوْ﴾ (يدوموا علىٰ كفرهم فـ) ﴿يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [آل عمران:١٢٨].

ولعلَّ السِّرَّ في بناء النَّظْم علىٰ الحذف التَّقابُلي هو الإيجازُ بذِكر ما يَسترعي الانتباهَ للمعاني البليغة في السِّياق؛ فقَدَّم ذِكرَ التَّوبة عليهم لِما فيها مِن الدَّلائل العظيمة علىٰ العفوِ والمغفرة والرَّأفة والحِلم بالعِباد مِصْداقًا لقَولِه ﷺ: «**لَمَّا خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، وَهُوَ يَكْتُبُ عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَهُوَ وَضْعٌ عِنْدَهُ عَلَىٰ العَرْشِ: (إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي)**»[(١١٣)]، وليكونَ أشدَّ ترغيبًا لهم في المُسارَعة إلىٰ التَّوبة؛ ليَكشِفَ عن قلوبهم حُجُبَ الغفلة فيَرجِعوا عمَّا هُم عليه مِن الظُّلم ويَتعرَّضوا لرحمته، وتأنيسًا للنَّبي ﷺ بعد عِتابه بأنَّ الله ﷻ قد يتُوب عليهم فيُسلِموا فيُريه أحدَ أَملَيه فيهم فيَفرَحَ بإسلامهم، وتَتحقَّقَ المصلحةُ للأمَّة بزيادة عددها وعَتادها[(١١٤)]، وقد حَذف الرَّحمةَ لشِدَّةِ وضوح معناها في السِّياق

(١١٣) الحديثُ صحيحٌ: أخرجه البخاريُّ بلفظه في «صحيحه»، كتاب التَّوحيد، باب قول الله تعالىٰ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [سورة آل عمران: ٣٠]، ح: ٧٤٠٤؛ ٩: ١٢٠؛ ومسلمٌ بنحوه في «صحيحه»، كتاب التَّوبة، بابٌ في سَعة رحمة الله تعالىٰ، وأنَّها سبقتْ غضبَه، ح: ٢٧٥١؛ ٨: ٩٥.

(١١٤) ينظر: ابن عطية، «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»، ١: ٥٠٦؛ والبقاعي، «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، ٥: ٦٠.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

ومُلازَمتِها التَّوبة؛ ولكَونها ثمرتَها. وفي الجانب الآخَر آثَر ذِكْرَ العذاب؛ لأنَّه ثمرةُ الدَّيمُومة علىٰ الكُفر. ولأنَّ النَّفْسَ مجبولةٌ علىٰ مُدافَعة المكروه وتَجنُّب أسباب مُواقَعته كان لذِكرِ العذاب في السِّياق وَقْعٌ بليغٌ في التَّرهيب مِن الكُفر ومُلابَسة أفعاله، وتَرَك ذِكرَ سببِه -وهو الإصرارُ علىٰ الكُفر- لأنَّ في السِّياق ما يدلُّ عليه بما يُغْني عن إعادته، ومِن ذلك ما ذُيِّلتْ به الآية مِن قَولِه تعالىٰ: ﴿فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾. والله أعلم.

سورة النِّساء

٨- قَولُه تعالىٰ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء:١٣-١٤].

قال ابنُ عرفة: «... وعندي فيه حذف التَّقابُل ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ وله نَعيمٌ مُقيم ﴿وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾، وفي قَسيمه ﴿يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ وذلك هو الخُسْرانُ المبين»[(١١٥)].

ذَكر ابنُ عرفةَ ﷺ أنَّ سِياقَ هذه الآية الكريمة قد بُنيَ علىٰ حذف التَّقابُل؛ إذْ حَذَف مِن شطر الآية الأول: (وله نعيم مقيم)؛ لأنَّ قَولَه في شطرِ الآية الثَّاني: ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ دلَّ عليه، وحَذف مِن شطرِ الآية الثَّاني: (وذلك هو الخُسْرانُ المبين)؛ لأنَّ قَولَه في شطرِ الآية الأوَّل: ﴿وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ دلَّ عليه.

(١١٥) ابن عرفة، «تفسير الإمام ابن عرفة»، (طبعة دار ابن حزم)، ٢: ٣٨٢.

وعلىٰ ذلك يكون نظمُ الآيتَين -بعد تقدير وجود حذف التَّقابُل فيهما عند ابن عرفةَ- علىٰ النَّحو الآتي:

﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ (ولهم نَعيمٌ مُقيم) ﴿وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ (وذلك هو الخُسْرانُ المُبين) [النساء:١٣-١٤].

ولعلَّ السِّرَّ في سَبْكِ النَّظْم علىٰ الحذف التَّقابُلي هو الإيجازُ والاكتفاءُ بالمذكور، الذي دلَّ دَلالةً ضمنيةً علىٰ المحذوف؛ وذلك لأنَّ السِّياقَ في التَّرغيب والتَّرهيب وبيان الغاية العُظْمىٰ التي يَتفرَّع منها كلُّ خيرٍ، والتَّحذيرِ مِن أصل الفساد الذي ينبثق منه الشَّرُّ ويَتفرَّع عنه؛ فاكتفىٰ السِّياقُ بما يؤدِّي المعنىٰ ويسترعي الانتباه ويستحثُّ السَّامعَ علىٰ الأخذ بما فيه؛ فهُما طريقان لا ثالثَ لهما؛ إمَّا طاعةٌ وإذعانٌ لله ورسوله، وإمَّا عصيانٌ ومُخالَفةٌ لهما بهوىٰ نفسٍ أو إصرارٍ علىٰ كِبرٍ وعِناد، وجزاءُ الأوَّل الخلودُ في الجنَّة، التي لا يَبتئس فيها أحدٌ، وهذا هو الفوزُ العظيم الذي يَرجُوه كلُّ مؤمن، وجزاءُ الثَّاني الخلودُ في النَّار والعذابُ المهين، وهذا هو غايةُ الخُسْران الذي ينبغي لكلِّ عاقلٍ الحذرُ منه؛ فاكتفىٰ بالمذكور في الجانب الأول -وهو الفَوزُ العظيم- لأنَّ فيه دِلالةً ضمنيةً وعقليةً علىٰ المحذوف لِما في المذكور مِن ترغيبٍ في الانقياد والإذعان والطَّاعة؛ إذِ الفَوزُ العظيم اسمٌ جامع لكلِّ خيرٍ وفلاحٍ وظفرٍ بالخَير، واكتفىٰ بالمذكور في الجانب الآخَر -وهو العذابُ المهين- لأنه أنكأُ في المجرمين وأشدُّ وَطْأةً عليهم، وأدلُّ علىٰ إذلالهم وخِزيهم يومئذٍ، وفي بيان ذلك يقول ابنُ عاشور: «إنَّ محطَّ العطفِ هو وصفُه بالمُهين؛ لأنَّ العربَ أُباةُ الضَّيْم، شُمُّ الأنوف؛

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

فقد يَحذَرون الإهانةَ أكثرَ ممَّا يَحذَرون عذابَ النَّار، ومِن الأمثال المأثورة في حكاياتهم: النَّارُ ولا العارُ»[(١١٦)]؛ فناسَب أنْ يَكتفيَ بذِكرِها، ولا شكَّ أنَّ تلك هي أعظمُ خَسارةٍ. والله أعلم.

سورة المائدة

٩- قولُه تعالىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ۝٩ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ۝١٠﴾ [المائدة:٩-١٠].

قال ابنُ عرفة: «وفي الآية حذف التَّقابُل؛ لأنَّه ذَكر في قِسْمِ المؤمنين الحُكمَ بثواب عملهم ولم يَذكُر ما به يقع الثَّوابُ، وذَكر في قِسم الكافرين ما به يقع العذابُ، ولم يَذكُر الحكمَ بتعذيبهم؛ فالتَّقدير: ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ۝٩﴾ وهُم أصحابُ الجنَّة، والتَّقديرُ في الثَّاني: لهم عذابٌ أليم وهُم ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ۝١٠﴾»[(١١٧)].

ذَكر ابنُ عرفةَ ﷺ أنَّ سِياقَ هذه الآية الكريمة قد بُنِيَ علىٰ حذف التَّقابُل؛ إذْ حَذف مِن شطر الآية الأوَّل: (وهُم أصحابُ الجنَّة)؛ لأنَّ قولَه في شطرِ الآية الثَّاني: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ دلَّ عليه، وحَذف مِن شطرِ الآية الثَّاني: (لهم عذابٌ أليم)؛ لأنَّ قولَه في شطرِ الآية الأوَّل: ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ دلَّ عليه.

---

(١١٦) محمد الطاهر ابن عاشور، «تحرير المعنىٰ السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد». (د.ط، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ)، ٤: ٢٦٨.

(١١٧) ابن عرفة، «تفسير الإمام ابن عرفة»، (طبعة دار ابن حزم)، ٢: ٥٣٩.

وعلىٰ ذلك يكون نظمُ الآيتَين -بعد تقدير وجود حذف التَّقابُل فيهما عند ابن عرفةَ- علىٰ النَّحو الآتي:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ٩﴾ (وهُم أصحابُ الجنَّة)، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ (لهم عذابٌ أليم)، و﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١٠﴾ [المائدة:٩-١٠].

ولعلَّ السِّرَّ في بناء النَّظْم علىٰ الحذف التَّقابُلي هو أنَّه آثَر ذِكرَ المغفرة والأجْر العظيم في جانب المؤمنين؛ لأنَّه أدعىٰ لترغيبهم وحثِّهم علىٰ الإيمان والعمل الصالح وأثلجُ لصدورهم؛ إذْ حالُ المؤمن عند العمل هو تَقلُّبُه بين الخَوف والرَّجاء؛ فآثَر ﷻ ذِكرَ المَغفِرة تسكينًا لنُفوسهم وتطمينًا لهم بأنَّه سيَستُر ذُنوبَهم السَّالفة منهم عليهم، ويُغطِّيها بعَفْوِه لهم عنها، مع تركِ عقوبتهم عليها وفضيحتهم بها، وإنْ قَصَّروا في أعمالهم التَّالية؛ فإنَّه سيَغفر لهم تقصيرَهم لسَعةِ عَفْوه وكرم عطائه ورحمته بهم؛ لأنَّ العبدَ -وإنْ كانت أعمالُه قد بلغت الغايةَ في الصَّلاح- لا بُدَّ محتاجٌ إلىٰ عفوه وغُفرانه، ولَوْلا ذلك لَهَلك، وفضلاً عمَّا سبق فإنَّه يُثيبهم بالأجر العظيم الذي يَتعدَّىٰ نفعُه الدُّنيا إلىٰ الآخِرة، والعظيمُ مِن الخير والأجر غيرُ محدودٍ مَبلَغُه، ولا يُمكِن وصفُه، ولا يُعرف مُنتهاه وأَمَدُه[١١٨]، وفي إبهام الأجْر العظيم استرواحٌ للسَّامع باللَّفظ ليَذهَبَ فيه كلَّ مَذهَبٍ، مع توطينِ النَّفْس علىٰ إنجازه؛ لأنَّه مسبوقٌ بوعدِ مَن لا يُخلِف الميعادَ؛ فيَسهُل علىٰ المؤمن تَحمُّلُ المَشاقِّ والصَّبرُ في سبيل تحصيل الموعود[١١٩]؛ لذا

(١١٨) ينظر: محمد بن جرير الطبري، «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي (ط١، مصر: دار هجر، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)، ٨: ٢٢٦؛ وعبد الكريم بن هوازن القشيري، «لطائف الإشارات»، تحقيق: إبراهيم البسيوني، (ط٣، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت)، ١: ٤٠٨؛ البقاعي، «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، ١٨: ٣٥٩.

(١١٩) ينظر: الحسين بن عبد الله الطيبي، «فتوح الغيب في الكشف عن قِناع الرَّيْب»، تحقيق: جميل =

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

كان الاقتصارُ علىٰ ذِكر المذكور -مع العُدول في النَّظم إلىٰ الجُملة الاسْمية، التي تدلُّ علىٰ الثَّبات والتَقرُّر[١٢٠]- مِن البلاغة التي تفيض بتلك المعاني البليغة، التي تَضمَّنتِ المعنىٰ المحذوفَ وغيرَه الكثيرَ؛ فإنَّ الصِّفاتِ المذكورةَ في السِّياق تَدلُّ دَلالةً عقليةً علىٰ ما حُذف إيجازًا وثقةً بفَهْمِ القارئ، وهذا ما فَهِمه ابنُ عبَّاس ﷺ، إذ قال: «﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ في الدُّنيا لذُنوبهم، ﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٩﴾ في الآخِرة: الجَنَّةُ»[١٢١]. وفي جانب الكُفر والتَّكذيب وَسَمَ مَن اتَّصفوا به بأنَّهم أصحابُ الجحيم؛ لِما فيه مِن التَّرهيبِ الشَّديد مِن الاتِّصاف بوصفهم والتَّحذيرِ مِن سُلوك مسلكهم، إذْ إنَّهم لَمَّا كانوا أحقَّ النَّاس بالجحيم كانت إضافةُ ﴿أَصْحَٰبُ﴾ مُؤذِنةً بمزيدِ اختصاصهم به وحَصْرِه فيهم حتَّىٰ كأنَّهم منفردون به، وليس ثمَّةَ أَلَمٌ أشدُّ وأقبحُ مِن ذلك؛ لأنَّ المُصاحَبةَ تَقتضي المُلازَمةَ والخلودَ في النَّار، وقَطْعَ رجائِهم عن كلِّ خير[١٢٢]؛ فاقتصر علىٰ ذِكره وحَذف ما دلَّ عليه السِّياقُ دَلالةً عقليةً. والله أعلم.

١٠- قولُه تعالىٰ: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٧٦﴾ [المائدة:٧٦].

= بني عطا. (د.ط، دبي- الإمارات: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م)، ٥: ٣٠١.

(١٢٠) ينظر: ابن عاشور، «التَّحرير والتَّنوير»، ٦: ١٣٦.

(١٢١) ينظر: الماتريدي، «تأويلات أهل السنة»، ٣: ٤٧٧؛ أحمد بن إبراهيم الثعلبي، «الكشف والبيان عن تفسير القرآن»، تحقيق: عدد من الباحثين (ط١، جدة: دار التفسير، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م)، ٢٤: ٣٥٨؛ وعلي بن أحمد الواحدي، «التفسير البسيط»، (ط١، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠ هـ)، ٢٠: ٣٣٥.

(١٢٢) ينظر: الرازي، «مفاتيح الغيب»، ١١: ٣٢١؛ الآلوسي، «روح المعاني»، ٣: ٢٥٥؛ وابن عاشور، «التَّحرير والتَّنوير»، ٦: ١٣٧.

قال ابنُ عرفةَ: «السُّؤالُ الثَّالث: لِم قال: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾ والمناسبُ هنا وصفُه بالقُدرة؛ لأنَّ العِلمَ والسَّمع إنَّما يناسبان مَن قَصَد التَّستُّرَ والاختفاء، وهؤلاء تَعنَّتوا وتَجرَّأوا فما المُناسِبُ فيهم إلاَّ العِزَّةُ والانتقام والقُدرة والقهر؟

وتَقدَّم الجوابُ بأنَّه مِن حذف التَّقابُل، والتَّقديرُ: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ ولا يسمع ولا يعلم، والله هو مالك الضر والنفع ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾»[١٢٣].

ذَكر ابنُ عرفةَ ﷺ أنَّ سِياقَ هذه الآية الكريمة قد بُنِيَ على حذفِ التَّقابُل؛ إذْ حَذف مِن شطر الآية الأول: (ولا يَسمَع ولا يَعلَم) لأنَّ قولَه في شطرِ الآية الثَّاني: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾ دلَّ عليه، وحَذف مِن شطرِ الآية الثَّاني: (واللهُ هو مالِكُ الضُّرِّ والنَّفْع) لأنَّ قولَه في شطرِ الآية الأوَّل: ﴿ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ دلَّ عليه.

وعلى ذلك يكون نظمُ الآية -بعد تقدير وجود حذف التَّقابُل فيها عند ابن عرفة- على النَّحو الآتي: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ (ولا يَسمَع ولا يَعلَم) ﴿وَٱللَّهُ﴾ (هو مالِكُ الضُّرِّ والنَّفْع)، و﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾ [المائدة:٧٦].

ولعلَّ السِّرَّ في سَبْكِ النَّظْم وحَبْكه على الحذف التَّقابُلي هو أنَّه آثَر ذِكرَ نفيِ الضُّرِّ والنَّفْع عن معبوداتهم على طريقة التَّهكُّم بالاستفهام المُنْطَوي على التَّبكيت والتَّقرير والتَّوبيخ والتَّحقير؛ لأنَّ النَّفْسَ مجبولةٌ على التَّحرُّز مِن الضُّرِّ ومُدافَعتِه وتَحرِّي النَّفْعِ، وتَطلُّعِها إلى تحصيلِه وجَلْبِه. وقد ذكر ﷺ أنَّ أعظمَ

(١٢٣) ابن عرفة، «تفسير الإمام ابن عرفة»، (طبعة دار ابن حزم)، ٢: ٥٨٢.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

ما يَدفَعهم إلىٰ عبادة الأصنام هو استدفاعُها الضَّررَ وجَلْبُها النَّفْع -بحسَب مُعتقَداتهم الباطلة- بتقديمِ القرابين لها وإشراكِها في العبادة؛ فجاء السِّياقُ بالنَّفْي القاطع لتلك الصِّفات التي نسبوها لأصنامهم جهلًا وزُورًا وبُهتانًا بالأدلَّة والحُجَج التي تستثير عُقولَهم وتَستَفزُّ نُفوسَهم للإذعان والإقرار بالحقِّ، أمَّا حذفُ السَّمعِ والعِلمِ، فللدَّلالة علىٰ إسقاطها عن معبوداتهم مِن كلِّ وجهٍ، فلا تحتاج إلىٰ نَفْيٍ مِن باب أَوْلَىٰ وأَحْرَىٰ، وعلىٰ الجانب الآخر أثبت تلك الصِّفاتِ لنفْسه ﷻ لِما في ذلك مِن إثبات الكمال لله وحْده دُونما سِوَاه. وفيه دَلالةُ الْتزامٍ علىٰ المحذوف؛ فالمُختصُّ بالإحاطة بجميع المسموعات ودقائق المعلومات وحاجات العِباد -التي مِن جُملتها ما أنتم عليه مِن الأقوال الباطلة والعقائد الزَّائغة- هو وحْده الذي يملك النَّفْعَ والضُّرَّ، ولنْ يكونَ كذلك إلَّا وهو حيٌّ قادر علىٰ كلِّ شيء، ومنه الضَّرُّ والنَّفع، والمُجازاةُ علىٰ الأقوال والعقائد، إنْ خَيرًا فخَيرٌ، وإنْ شَرًّا فشَرٌّ؛ فذِكرُ الصِّفتَين في هذا السِّياق بيانٌ ولَفتٌ لهم إلىٰ تلك المعاني البليغة، ولأنَّها ظاهرةٌ في سبب النَّجْدة والإغاثة والضُّرِّ والنَّفْع في حال السُّؤالِ وظهورِ الحالة، فضلًا عمَّا فيها مِن التَّهديد والوعيد الشديد لِمَن عَبد غَيرَه؛ لأنَّ العبادةَ قَولٌ أو فعل، ومِن الفِعلِ ما مَحَلُّه القلبُ وهو الاعتقاد، ولا يُدرَك بالبَصر بل بالعِلم[١٢٤]. والله أعلم.

وقد وافق ابنَ عرفة من المفسِّرين في الإشارة لهذا النَّوع البلاغي في الآية البِقاعيُّ[١٢٥].

---

(١٢٤) ينظر: البقاعي، «نظم الدرر في تناسُب الآيات والسور»، ٦: ٢٥٧؛ إرشاد العقل السَّليم، ٣: ٦٨؛ الآلوسي، «رُوح المعاني»، ٣: ٣٧٤؛ ابن عاشور، «التَّحرير والتَّنوير»، ٦: ٢٨٩.

(١٢٥) ينظر: البقاعي، «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، ٦: ٢٥٧.

سورةُ الأنعامِ

١١-قولُه تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥۖ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام:١٥٢].

قال ابنُ عرفة: «فإنْ قلتَ: عبَّر في الكَيل بالمَصْدَر دون لفظ الآلة التي يقع بها الكَيلُ، وعَبَّر في الوزن باسْم الآلة دون المَصْدَر، فهَلَّا قيل: وأَوْفُوا المِكْيالَ والمِيزانَ، أو يقال: أَوْفُوا الكَيْلَ والوزنَ بالقِسط؛ فما السِّرُّ في ذلك؟ فعادتُهم يجيبون بوَجهَين:

الأوَّل: أنَّه مِن حذفِ التَّقابُل؛ أي وأَوْفُوا الكَيلَ والمِكْيالَ والوزنَ والمِيزانَ بالقِسط.

والثَّاني: أنَّ الخَبَثَ يقع في الكَيل -باعتبار الوجود الخارجيِّ- أكثرَ مِن الخَبَث في الوزن، والخَبَثَ في الميزان -باعتبار الوجود الخارجي- أكثرَ مِن المكيال؛ فالخبثُ الأكثرُ وُجودًا يقع في الكَيل لا في المِكيال وفي المِيزان لا في الوزن»(١٢٦).

ذَكر ابنُ عرفةَ أنَّ في هذه الآية حَذفَ تَقابُلٍ، حيث حَذَف مِن شطرِ الآية الأوَّل: (المكيال)؛ لأنَّ قولَه في شطرِ الآية الثَّاني: ﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾ دلَّ عليه، وحَذف مِن شطرِ الآية الثَّاني: (الوزن)؛ لأنَّ قولَه في شطرِ الآية الأوَّل: ﴿ٱلْكَيْلَ﴾ دلَّ عليه.

(١٢٦) ابن عرفة، «تفسير الإمام ابن عرفة»، (طبعة دار ابن حزم)، ٢: ٧٣٢.

معتمدة في معامل أرسيف لعام 2024
DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

وعلىٰ ذلك يكون نظمُ الآية -بعد تقديرِ وجودِ حذفِ التَّقابُل فيها عند ابنِ عرفةَ- علىٰ النَّحو الآتي:

﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥۖ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ﴾ (والمكيال) (والوزن) ﴿وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأنعام:١٥٢].

أَمَرَ اللهُ ﷻ في هذه الآية بإيفاءِ الكَيْلِ والمِيزانِ، ونبَّه علىٰ ذلك؛ لأنَّها نزلتْ في قومٍ كانُوا أَهْلَ مُعامَلةٍ بالكَيْلِ والوَزْنِ، وكانُوا لا يُوَفُّونَهُما، وذَكَرَ الكَيْلَ الذي هو المصْدَرُ -ويُطْلَقُ علىٰ ما يُكالُ بِهِ وهو المكْيالُ[١٢٧]- وعَطَفَ عليه الميزانَ، الذي هو اسْمٌ لِلْآلَةِ[١٢٨]؛ لأنَّ المرادَ بالكَيلِ آلةُ الكَيْلِ علىٰ الإضْمارِ؛ فأَشارَ بكُلٍّ مذكورٍ للمحذوف مُقابِلَه، مُخرجًا الآيةَ الكريمةَ علىٰ أسلوب حذف التَّقابُل البلاغي، في نَظْمٍ مُعجِزٍ خَصَّ فيه هذَين التَّحيُّلَين بالأمرِ والنَّهْيِ المَذكُورَين في الآية؛ لأنَّهما كانا شائعَين عند مَدْيَنَ، ولأنَّ التَّحَيُّلاتِ في المُعامَلاتِ الماليَّةِ تَنْحَصِرُ فيهما؛ إذْ كان التَّعامُلُ بيْن أهْلِ البَوادي مُنْحَصِرًا في المُبادَلات بأعْيان الأشياء عَرْضًا وطَلَبًا[١٢٩] فأكَّدهما بالمصْدَر والاسْم علىٰ تقدير الحذف في الآية، ولعلَّ سِرَّ خروج الآية عليه أنَّ الخبثَ يقع في الكَيل -باعتبار الوجود الخارجي- له أكثرَ ممَّا يقع مِن الخبث في الوزن، ويقع الخبثُ في الميزان- باعتبار الوجودِ الخارجيِّ- أكثرَ ممَّا يقعُ في المِكيال؛ فالخبثُ أكثرُ

(١٢٧) ينظر: ابن عاشور، «التَّحرير والتَّنوير»، ٨-ب: ٢٤٤.

(١٢٨) ينظر: محمد بن علي الشوكاني، «فتح القدير»، (ط١، دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ١٤١٤ هـ)، ٢: ٢٥٥.

(١٢٩) ينظر: ابن عاشور، «التَّحرير والتَّنوير»، ٨-ب: ٢٤٤.

وجودًا ووقوعًا في الكَيل لا في المِكيال، وفي المِيزان لا في الوزن(١٣٠)، كما أن الوفاء مِن جهة المكيال أنْ يُفعَلَ في الكَيل لا في المِكيال، والوفاءُ مِن جهة الميزان أن يكونَ فيه- أي فيالميزانِ- لا في الوزن(١٣١)؛ فلهذه الأسرارِ البلاغيِّة والحِكَم(١٣٢) ولغَيرِها جاءت الآيةُ علىٰ أسلوب حذف التَّقابُل بإظهارِ ما يقع فيه أكثرَ وإضمارِ ما يقع فيه أقلَّ، مع الإشارةِ لكُلٍّ مُضمَرٍ بالمذكور مُقابِلَه في صَنْعةٍ بلاغيةٍ مُعجِزةٍ بديعةٍ يَتأتَّىٰ لبَشَريٍّ أنْ يَأتيَ بما يُقاربها فضلاً عن أنْ يَأتيَ بمِثلِها.

سورة الأعراف

١٢- قولُهُ تعالىٰ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٥ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٦﴾ [الأعراف:٣٥-٣٦].

قال ابنُ عرفة: «ويُحتملُ أنْ يكونَ في الآية حذفُ التَّقابُل؛ أي: مَن اتَّقىٰ وأصلحَ فلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، (وأُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا

(١٣٠) ينظر: ابن عرفة، «تفسير الإمام ابن عرفة»، (طبعة دار ابن حزم)، ٢: ٧٣٢.

(١٣١) ينظر: المرجع السابق، (طبعة دار ابن حزم)، ٣: ١١٤.

(١٣٢) وعليه يكون قد جُمع بين مجمل توجيهات ابن عرفة، التي ذكرها لوجود حذف التَّقابُل في الآية؛ فسَّر خروجَ نَظْم الآية بالتَّعبير تارةً بالمصْدر وتارةً باسْم الآلة بوجودِ حذفِ التَّقابُل في الآية، كما ذكر ابنُ عرفة في التَّوجيه الأول، وسِرُّ مجيءِ نَظْم الآية علىٰ هذا الأسلوب البلاغيِّ (حذف التقابل) ووُجودِ محذُوفَين مقابلَ مذكُورَين في الآية الكريمة المُعجِزة هو ما ذكره ابن عرفة في التَّوجيه الثَّاني ها هنا، ويُضمُّ إليه التَّوجيهُ الثَّالث الذي زاده ابنُ عرفة في الشَّاهد رقم (١٣) من هذا البحث، والذي هو نظيرُ هذا الشَّاهد، وعليه مدارُ مسألة حذف التَّقابُل نفسُه، فيكون المُجملُ المذكور ها هنا لسرِّ خروج نَظْم الآية علىٰ حذف التَّقابُل وسِرِّ بلاغتها المُعجِزة ثلاثةَ توجيهات.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

خَالِدُونَ)، وَلَا خَوْفٌ عَلَيهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ؛ أي لا حُزنٌ عليهم، وَالَّذينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (وعليهم الخَوفُ وهُم يَحزَنون)»[١٣٣].

ذَكر ابنُ عرفةَ ﵀ أنَّ سِياقَ هذه الآية الكريمة قد بُنِيَ على حذفِ التَّقابُل؛ إذْ حَذف مِن شطرِ الآية الأوَّل: (وأُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)؛ لأنَّ قولَه في شطرِ الآية الثَّاني: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ دلَّ عليه، وحَذف مِن شطرِ الآية الثَّاني: (وعليهم الخَوفُ وهُم يحزنون)؛ لأنَّ قولَه في شطرِ الآية الأوَّل: ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ دلَّ عليه.

وعلى ذلك يكون نظمُ الآيتَين -بعد تقديرِ وجودِ حذفِ التَّقابُلِ فيهما عند ابنِ عرفةَ- على النَّحو الآتي:

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٥﴾ (وأُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)، ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٦﴾ (وعليهم الخَوْفُ وهُم يَحزَنون) [الأعراف:٣٥-٣٦].

ولعلَّ السِّرَّ في بناءِ النَّظْم على الحذفِ التَّقابُليِّ هو إيثارُ اللَّفظ المُناسب لسِياق الآياتِ وسِباقها، وذِكرُ الأَوْفَقِ والأَلْصَق بهما مُراعاةٌ لبِنْية السُّورة الموضوعيَّة وترابُط نَسَقِها بالحثِّ على اتِّباع الرُّسل، الذي هو المَقصِدُ الأوَّلُ مِن مَقاصدِ هذه السُّورة[١٣٤]؛ إذ صُدِّرتْ بأمره -جلَّ شأنُه- بالدَّعوةِ إلى التَّوحيد واتِّباعِ ما جاء به الأنبياءُ مِن الوحيِ المُنزَّلِ عليهم مِن ربِّهم، ثمَّ أَردَفها بالقَصَص، التي تُبيِّن سُوءَ عاقبة المُكذِّبين السَّابقين وما حَلَّ بهم مِن

(١٣٣) ابن عرفة، «تفسير الإمام ابن عرفة»، (طبعة دار الكتب العلمية)، ٢: ٢٢٧.

(١٣٤) ينظر: البقاعي، «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، ٧: ٣٩٣.

العذاب الذي استأصلهم؛ وذلك قولُه: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ۝٤ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٥﴾ [الأعراف:٣-٥]. ثمَّ تابَعت الآياتُ الحديثَ عن الجزاءِ والحساب وبيانِ حال كِلا الفَريقَين: المُؤمِنِين الذين ثَقُلتْ موازينُهم، والمكذِّبين الذين خَفَّتْ مَوازينُهم، وامتنانِه ﷻ على الخَلْقِ بالتَّمكينِ في الأرض وتسخيرِ الكَون لمصالحهم. ثمَّ قصَّ عليهم قِصَّةَ العدوِّ الأول للبشَريَّة، الذي ما فَتِئَ يوسوس لأبوَيهم حتَّى أخرجهما مِن الجنَّة، ثمَّ توعَّد ذُرِّيَّتَهما بالفتنة والتَّلبيس عليهم، وتعهَّد بغِوايتهم وحَرْفِهم عن الطَّريق المستقيم، مُحذِّرًا إيَّاهم مِن كَيده، ومُشعِرًا لهم بقُوَّته بقولِه: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف:٢٧]؛ عسى أنْ يَتَّخِذوا العُدَّةَ للنَّجاة مِن مَخالبِ فتنته، وأردف ذلك بالتَّحذير مِن حِزبه ودُعاته الذين يَفتِنون المؤمنين، ثمَّ أَردَف ذلك السِّياقَ الطَّويل، الذي تَخلَّله التَّفصيلُ تحذيرًا وامتِنانًا بإجمالِ المنهج الرَّشيد الذي يُعِين على تَجنُّبِ كَيدِه، وبيانِ السَّبيل الوحيد للنَّجاة، وهو اتِّباعُ الأنبياء والرُّسل، حاثًّا على التَّعلُّق بأسباب النَّجاة قبل الفَوْت(١٣٥)، مُذكِّرًا بما بدأت به السُّورةُ مِن الأمر بالاتِّباع؛ فنَاسَب أنْ يَذكُرَ في جانب الذي اتَّقى وأصلح حِيالَ تلك الدَّعْوةِ البِشارةَ بتأمينه مِن الخَوف والحُزن في الدُّنيا والآخِرة؛ إلْماحًا إلى أنَّ التَّقْوى والصَّلاحَ يعُودان بالفائدة على الأُمَم لا الرُّسل(١٣٦)؛ لأنَّ الأمنَ النَّفسيَّ والاجتماعيَّ ركيزةٌ مِن ركائز العَيش الهانئ، الذي يُمكِّن الإنسانَ مِن الاستقرارِ والاطمئنان وعِمارة الأرض والإقبال على ما يَنفَع؛ فالنَّفْسُ مجبولةٌ على مُدافَعة

(١٣٥) ينظر: ابن عاشور، «التَّحرير والتَّنوير»، ٨-ب: ١٠٧.

(١٣٦) ينظر: ابن عاشور، «التَّحرير والتَّنوير»، ٨-ب: ١٠٩.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

الخَوف والحُزن وتَوقِّي أسباب حصولهما لعِلمِها اليقينيِّ أنَّهما سبيلٌ للهلاك؛ لذا كان مِن دُعاء النَّبيِّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ**»(١٣٧). «والهَمُّ والحُزنُ: تَحسُّرُ القلب وشُغْلُه بالفِكر والتَّأسُّف على ما فات مِن الدُّنيا. وقيل: هو شُغلُ القلبِ وفِكرتُه بما يُخاف ويُرجى في المُستقبَل مِن غِنًى أو فقرٍ وغيرِ ذلك مِن الحوادث (الطَّارئة) المُتوقَّعة. وقيل: الحُزنُ على ما فاتَ، والهمُّ بما هو آتٍ»(١٣٨). فكان نفيُهما في سِياقِ العمومِ والتَّنصيصُ على أنَّهم آمِنون مِن جميع المَخاوف والأحزان -لا سيَّما مع سبقِ ذِكرِ العذاب والتَّحذيرِ ممَّن كان سببًا في خروج أَبوَيهم مِن الجنَّة- والامتنانُ بالنِّعَم أدعى للاستجابة والقَبُول والامتثال؛ لأنَّ اللهَ يَمتنُّ عليهم بالعَطايا والهِداية التي تُقِرُّ أَعيُنَهم؛ فجاء سبكُ النَّظْم غايةً في البلاغة؛ لأنَّ إجلالَهم لله تعالى وهَيبَتَهم له يُمكِن أنْ يُطلَقَ عليهما خَوفٌ؛ فأمَّنهم اللهُ مِن خَوف الدُّنيا والآخرة(١٣٩). أمَّا وَسْمُهم بأنَّهم أصحابُ الجنَّة فقد حُذف اكتفاءً بالمذكور الذي دلَّ عليه؛ فممَّا لا شكَّ فيه أنَّ التَّقْوى والصَّلاحَ مِن الصِّفات التي تَؤُول بأصحابها إلى الجنَّة، وهذا ما ذكره في مَوضِعٍ آخَرَ بقولِه: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٦٤﴾ [يونس:٦٢-٦٤]، إلَّا أنَّه ترك ذِكر المآل، وهو إدخالُهم الجنَّة في سِياق الأعراف محل الدراسة للإيجازِ والتَّركيزِ على المذكور،

---

(١٣٧) الحديثُ صحيحٌ: أخرجه البخاريُّ بلفظه في «صحيحه»، كتاب الدَّعَوات، باب: الاستعاذة مِن الجُبن والكَسَل، ح: ٦٣٦٩؛ ٨: ٧٩؛ ومسلمٌ بنحوه في «صحيحه»، كتاب الحجِّ، باب: فضل المدينة ودُعاء النَّبي ﷺ فيها بالبركة، ح: ١٣٦٥؛ ٤: ١١٤.

(١٣٨) حسن بن علي المنذري، «فتح القريب المجيب على التَّرغيب والتَّرهيب»، تحقيق: محمد إسحاق آل إبراهيم، (ط١، الرياض: مكتبة دار السلام، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م)، ٨: ٣٢٠.

(١٣٩) ينظر: البقاعي، «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، ٧: ٣٩٤.

وعلىٰ الجانبِ الآخرِ آثَر وَسْمَ فريقِ المُكذِّبين بأنَّهم ﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ لِما فيه مِن التَّحذيرِ الشَّديد والتَّرهيبِ مِن التَّكذيب والاستكبار، لأنَّ النَّارَ هي المقصودُ الذي وقع الخَوفُ والحُزنُ لأجْله؛ لِذا حَذَف ذِكرَها مِن بابِ الإيجاز، ولدَلالةِ بِنْية السِّياق عليه؛ وفي ذلك يقول ابنُ عاشور: «وعُدل عن عطفِ المُفرَد -بأنْ يقال: ولا حَزَنٌ- إلىٰ الجُملة ليَتأتَّىٰ بذلك بناءُ المُسنَد الفعلي علىٰ ضَميرهم؛ فيَدُلَّ علىٰ أنَّ الحُزنَ واقعٌ بغَيرهم وهُم الذين كفروا؛ فإنَّ بناءَ الخبر الفعلي علىٰ المُسنَد إليه المُتقدِّم عليه يُفيدُ تخصيصَ المُسنَد إليه بذلك الخبر.. فيُفيدُ أنَّ الذين كفروا يَحزَنون إفادةً بطَريق المفهوم؛ ليكونَ كالمُقدِّمة للخبر عنهم بعد ذلك بأنَّهم أصحابُ النَّار هُم فيها خالدون»[١٤٠]، كما أنَّ وَسْمَهم بأنَّهم أصحابُ النَّار في السِّياق أَدلُّ علىٰ مُجازاتهم مِن جنسِ عملهم؛ فكان الجزاءُ بالإهانة والإذلال مُناسِبًا للوعيد. والله أعلم.

١٣- قولُه تعالىٰ: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأعراف:٨٥].

قال ابنُ عرفة: «إنْ قلتَ: لم عَبَّر في الأوَّل بالمصْدر وفي الثَّاني بالاسم؟ فالجوابُ مِن ثلاثة أوجُه: الأولُ: أنَّه مِن حذف التَّقابُل؛ أي أَوفُوا الكَيلَ بالمكيال والوزنَ بالميزان. الثَّاني: أنَّ البَخْسَ الغالبَ إنَّما يكون في الكَيل لا في المكيال وفي الميزانِ لا في الوزن. الثَّالثُ: أنَّ الوفاءَ مِن جهة المكيال إنَّما يقع بفِعلٍ في الكيل لا في المكيال، والوفاءُ مِن جهة الميزان أنْ يكونَ فيه لا في الوزنِ»[١٤١].

(١٤٠) ابن عاشور، «التَّحرير والتَّنوير»، ٨-ب: ١١٠.

(١٤١) ابن عرفة، «تفسير الإمام ابن عرفة»، (طبعة دار ابن حزم)، ٣: ١١٤.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

ذَكر ابنُ عرفةَ أنَّ في هذه الآية حذفَ تَقابُلٍ، حيث حذفَ مِن شَطر الآية الأوَّل: (المكيال)، لأنَّ قولَه في شطرِ الآية الثَّاني: ﴿وَٱلۡمِيزَانَ﴾ دلَّ عليه، وحَذف مِن شطرِ الآية الثَّاني: (الوزن)؛ لأنَّ قولَه في شطرِ الآية الأوَّل: ﴿ٱلۡكَيۡلَ﴾ دلَّ عليه.

وعلىٰ ذلك يكون نظمُ الآية -بعد تقديرِ وجودِ حذفِ التَّقابُلِ فيها عند ابنِ عرفةَ- علىٰ النَّحو الآتي:

﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ﴾ (والمكيال) (والوزن) ﴿وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٨٥﴾ [الأعراف:٨٥].

وقد سبق الحديثُ عن نظيرِ هذا الشَّاهدِ المُطابِق له في الشَّاهد ما قبْل السَّابق بما يُغْني عن إعادته والإطالة فيه؛ فلْيُراجَعْ هناك.

وقد وافق ابنَ عرفة من المفسِّرين في الإشارة لهذا النَّوع البلاغي في الآية البِقاعيُّ[١٤٢].

١٤- قولُه تعالىٰ: ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٧٨﴾ [الأعراف:١٧٨].

قال ابنُ عرفة: «عبَّر في الأُولىٰ بالمَلزُوم وهي الهدايةُ، وفي الثَّاني باللَّازم وهو الخُسْران؛ ففيه حذفُ التَّقابُل؛ أي: مَن يَهْدِ، ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِ﴾ الرَّابح، ﴿وَمَن يُضۡلِلۡ﴾ هو الضَّالُّ الخاسر، و﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٧٨﴾»[١٤٣].

---

(١٤٢) ينظر: البقاعي، «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، ٧: ٤٥٩-٤٦٠.

(١٤٣) ابن عرفة، «تفسير الإمام ابن عرفة»، (طبعة دار ابن حزم)، ٣: ١٨٩.

ذَكر ابنُ عرفةَ ﷺ أنَّ سِياقَ هذه الآية الكريمة قد بُنِيَ على حذف التَّقابُل؛ إذْ حَذف مِن شطر الآية الأول: (الرَّابح)؛ لأنَّ قولَه في شطرِ الآية الثَّاني: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ دلَّ عليه، وحَذف مِن شطرِ الآية الثَّاني: (فهو الضَّالُّ)؛ لأنَّ قولَه في شطرِ الآية الأوَّل: ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى﴾ دلَّ عليه.

وعلى ذلك يكون نظمُ الآية -بعد تقديرِ وجودِ حذفِ التَّقابُل فيها عند ابن عرفة- على النَّحو الآتي:

﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى﴾ (الرَّابح)، ﴿وَمَن يُضْلِلْ﴾ (فهو الضَّالُّ الخاسر)، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾﴾ [الأعراف:١٧٨].

ولعلَّ السِّرَّ في بناء نَظْم السِّياق على الحذف التَّقابُلي أنَّ الآيةَ سِيقتْ مَساقَ التَّذييل للقِصَّة والمَثَلِ السَّابقِ ذِكرُه؛ فأَعقَب بذِكرِ اختصاصه ﷻ بأمرِ الهداية والضَّلال تنويهًا بمُطلَق اختصاصه بهما، كما دَلَّ عليه قولُه تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٧٦](١٤٤)؛ لذا آثرَ الحَقُّ ﷻ التَّنصيصَ في جانب الهداية على الاهتداء -الذي هو مَدارُ الفلاح والفَوْز ولازِمُه- إشارةً إلى أنَّ الهدايةَ أسمى المَطالبِ التي ينبني عليها خَيرُ الدُّنيا والآخرة وأشرفُها، وتوجيهًا للمسلمين إلى طلبِها وسؤالِ العِصمة مِن مَزالق الضَّلال منه وحْده ﷻ، وقطعًا للتَّوهُّم بأنَّ أحدًا مِن العِباد يَملِك هدايةَ نفْسه بسَعْيه وعمله مَهْما بَلغتْ كَثرتُه(١٤٥)؛ إذْ سبيلُها الوحيد -بحسَب السِّياق- هو الالْتِجاءُ والافتقارُ له ﷻ، والانكسارُ بين يدَيه لتحصيلها والتَّوفيق لأسبابها، وهو ما دلَّ عليه أسلوبُ القَصْر الحقيقي بتعريف جُزْأَيِ الجُملة ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى﴾، باعتبار أنَّ المُوفَّقَ للهداية

(١٤٤) ينظر: الطيبي، «فتوح الغيب في الكشف عن قِناع الرَّيْب»، ٦: ٦٧٢؛ والآلوسي، «روح المعاني»، ٥: ١١٠.

(١٤٥) ينظر: القشيري، «لطائف الإشارات»، ١: ٥٨٩.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

هو الـمُهتدي لا غَيرَ، كائنًا مَن كان(١٤٦)؛ فدلَّ أنَّ في ذلك مزيدَ تشريفٍ للمهتدي بتوفيقه وعِصمته ومَعُونته(١٤٧)، وحُذِف ما سِوَىٰ ذلك؛ لإيلاء الـمذكور مزيدَ عنايةٍ واهتمامٍ، وفي تأكيد هذا الـمعنىٰ يقول البَيْضاويُّ: «والاقتصارُ في الإخبار عمَّن هَداه اللهُ بالمهتدي تعظيمٌ لشأن الاهتداء، وتنبيهٌ علىٰ أنَّه في نفْسه كمالٌ جَسيم ونفعٌ عظيم، لو لم يَحصُل له غَيرُه لَكَفاه، وأنَّه الـمُستَلزِمُ للفَوز بالنِّعَم الآجلة والعُنوانُ لها»(١٤٨)، ثمَّ إنَّه آثَر ذِكرَ الخَسارة في جانب الإضلال تحذيرًا للعِباد مِن التَّعرُّض لغضبه ﷻ ببيانِ الآثار الـمُترتِّبة علىٰ ذلك مِن الخِذْلانِ والتَّرْكِ والتَّخْليةِ بين العبد ونفْسه، وتذكيرًا بحال مَن ترك الآخرةَ الباقية وأقبل علىٰ الدُّنيا الفانية؛ إذْ مآلُ حاله إلىٰ خَسارةٍ عظيمة(١٤٩)، فضلًا عمَّا في خَتْم الآية بالخُسْران مِن الإلْماح إلىٰ قصَّة بلعم بن باعوراء الـمذكورةِ في سِياق الآيات، والتِّحذيرِ مِن سُوءِ عاقبته ومَصيره؛ لأنَّ في نسبة الهداية إليه ﷻ تشنيعًا علىٰ مَن آثر الضَّلالَ علىٰ الهُدىٰ وتقبيحًا له، وتوبيخًا وتبكيتًا له بطرده مِن هذا الـمَقام الكريم، وبيانًا لأنَّه ليس أهلًا لتشريفه بالاهتداء، بلْ هو أهلٌ للضَّلال الـمُستلزِم للخُسْران الذي أغرقه اللهُ فيه(١٥٠)، وحَذَف وصفَه بالضَّالِّ إيجازًا واعتناءً ببيان سُوء الـمَصير والـمُنقَلَب. والله أعلم.

---

(١٤٦) ينظر: الآلوسي، «روح المعاني»، ٥: ١١٠؛ ابن عاشور، «التَّحرير والتَّنوير»، ٩: ١٨٠.

(١٤٧) ينظر: الماتريدي، «تأويلات أهل السنة»، ٥: ٩٣.

(١٤٨) عبد الله بن عمر البيضاوي، «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ)، ٣: ٤٣.

(١٤٩) ينظر: البقاعي، «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، ٨: ١٦٢.

(١٥٠) ينظر: عبد الكريم يونس الخطيب، «التفسير القرآني للقرآن»، (د.ط، القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت)، ٥: ٥٢٥.

سورة يونس

١٥- قَولُه تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ٦٧﴾ [يونس:٦٧].

قال ابنُ عرفة: «مِن بابِ حذفِ التَّقابُلِ؛ أي ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ﴾ مُظْلِمًا ﴿لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًا﴾ لتَتصرَّفوا فيه»(١٥١).

ذَكر ابنُ عرفةَ ﷺ أنَّ سِياقَ هذه الآية الكريمة قد بُنِيَ علىٰ حَذفِ التَّقابُل؛ إذْ حَذف مِن شطر الآية الأول: (مُظلِمًا)؛ لأنَّ قولَه في شطرِ الآية الثَّاني: ﴿مُبْصِرًا﴾ دلَّ عليه، وحَذف مِن شطرِ الآية الثَّاني: (لتَتصرَّفوا فيه)؛ لأنَّ قولَه في شطرِ الآية الأوَّل: ﴿لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ﴾ دلَّ عليه.

وعلىٰ ذلك يكون نظمُ الآية -بعد تقدير وجود حذف التَّقابُل فيها عند ابنِ عرفةَ- علىٰ النَّحو الآتي:

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ﴾ (مُظلِمًا)، ﴿لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًا﴾ (لتَتصرَّفوا فيه)، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ٦٧﴾ [يونس:٦٧].

ولعلَّ السِّرَّ في بناء نَظْم السِّياق علىٰ الحذف التَّقابُلي هو أنَّ الآيةَ وردتْ في سياق إثبات الأُلوهيَّة والرُّبوبيَّة بالأدلَّة والبراهين؛ إذ قال تعالىٰ في سِياق الآية: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ٦٦﴾ [يونس:٦٦]؛ فناسَب أنْ يَذكُر ما يدلُّ علىٰ العِلم والقُدرة والامتنان بما تَعجِز عنه أصنامُهم؛ ليكونَ أدعىٰ إلىٰ تثويرِ عقولهم ونُفوسهم إلىٰ التَّفكير في تلك الصِّفات الدَّالَّة علىٰ وَحْدانيَّته،

(١٥١) ابن عرفة، «تفسير الإمام ابن عرفة»، (طبعة دار ابن حزم)، ٣: ٣٤٩.

معتمدة في معامل أرسيف لعام 2024
DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

التي متىٰ تَأمَّلها العاقلُ؛ أدَّتْ به إلىٰ توحيدِ الله والإقرار برُبوبيَّته، وتقريرِهم لِما سَلَف ذِكرُه مِن كَون جميعِ الموجوداتِ المُمكِنة تحت قُدرته وقَهْره ومُلكه المُفصِح عن اختصاص العِزَّة به سبحانه(١٥٢)، والاستدلالِ علىٰ فساد ظنِّهم وخَرْصهم بشواهدِ خَلْقِ اللَّيل والنَّهار التي يشاهدونها عِيانًا في كلِّ يومٍ مرَّتَين وهُم في غَفْلة عن دَلالتها(١٥٣)؛ لذا ناسَب أنْ يَذكُرَ في الجانبِ الأول مِن الآية جانبِ اللَّيل: السُّكونَ مِن النَّصَب والتَّعَب؛ لشِدَّة احتياج النَّاس له بعد تَعبِ الأعمال التي كَدَحُوا لها في النَّهار، وهذا مِن أعظم مَواطِن النِّعْمة التي امتنَّ بها -سبحانه- علىٰ العِباد، وفيه تَتجلَّىٰ مَظاهرُ الوَحْدانيَّة في القُدرة علىٰ البعث بعد الموت، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٤٢﴾ [الزمر:٤٢]. وقد حَذَف الظُّلْمةَ -كما قيل- لأنَّ ظُلْمةَ اللَّيل عَدَميَّةٌ فاقتصر في الاعتبار به علىٰ ذِكر الفائدة الحاصلة فيه، وهي السُّكون(١٥٤)، كما ناسَب أنْ يَذكُرَ في الجانب الثَّاني مِن الآية: جَعْلَه النَّهارَ مُبصِرًا؛ لِما يَنبني علىٰ إبصار النَّهار مِن النِّعَم العظيمة الجليلة، التي هي مَوطِنُ القُدرة والإبداع وتَجلِّي العَظَمة؛ ومنها تَصرُّفُ النَّاس بالسَّعْي لطلبِ الكَسْب والعَيش والاهتداء إلىٰ حوائجهم؛ لحَثِّهم علىٰ الشُّكر والعِبادة(١٥٥). وفي بيان ذلك يقول البِقاعيُّ: «فالآيةُ مِن الاحتباك؛ حَذف الظَّلامَ أوَّلًا؛ لكَونِه ليس مِن

(١٥٢) ينظر: أبو السعود، «إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم»، ٤: ١٦٢.

(١٥٣) ينظر: ابن عاشور، «التَّحرير والتَّنوير»، ١١: ٢٢٦.

(١٥٤) ينظر: المرجع السابق، ١١: ٢٢٧.

(١٥٥) ينظر: الماتريدي، «تأويلات أهل السنة»، ٦: ٦٤؛ النسفيُّ، «التَّيسير في التَّفسير»، ٨: ٩٩؛ الزمخشريُّ، «الكشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل»، ٢: ٣٥٨؛ ابن عطية، «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»، ٤: ٥٦٦.

النِّعَم المقصودة في أنفُسها لِما دلَّ عليه مِن الإبصار، الذي هو المقصودُ مِن نِعمة الضِّياء المقصود في نفْسه، وحذف الانتشارَ؛ لأنَّه بعضُ ما يَنشأ عن نِعمة الإبصار لِما دلَّ عليه مِن السُّكون، الذي هو المقصودُ الأعظم مِن اللَّيل: الرَّاحةُ لِمن أرادها، والعبادةُ لِمن اعتمدها واستزادها»[١٥٦]. وقال ابنُ عاشور: «فإنَّ الإنسانَ مدنيٌّ بالطبع، وكادحٌ للعمل والاكتساب؛ فحاجتُه للضِّياء ضروريةٌ، ولَوْلا الضِّياءُ لَكانت تَصرُّفاتُ النَّاس مضطربةً مختبطةً. وللتَّنويه بشأن إبصارِ النَّاس في الضِّياء وكثرةِ الفوائد الحاصلة لهم مِن ذلك أَسنَد الإبصارَ إلىٰ النَّهار علىٰ طريقة المَجاز العقلي لقُوَّة المُلابَسة بين الأفعال وزمانها؛ فأَسنَد إبصارَ النَّاس إلىٰ نفسِ النَّهار؛ لأنَّه سببُ بعضه وسببُ كمال بعضٍ آخَرَ؛ فأمَّا نِعمةُ السُّكون في اللَّيل فهي نِعمةٌ واحدة هي رُجوعُ النَّشاط»[١٥٧]. فكان ذِكرُ الأعمِّ الأشمل غايةً في البلاغة والإعجاز، وأدعىٰ إلىٰ تنبيههم إلىٰ عظيمِ قُدرته ونِعمته الشَّاملة لجميع العِباد. والله أعلم.

وقد وافَق ابنَ عرفة مِن المفسِّرين في الإشارة لهذا النَّوع البلاغي في الآية البِقاعيُّ[١٥٨].

سورة الرَّعْد

١٦- قوله تعالىٰ: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾ [الرعد:١٩].

قال ابنُ عرفة: «في الآية حذفُ التَّقابُل؛ أي ﴿أَفَمَن﴾ يُبصِر فـ﴿يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ جاهلٌ. قلتُ: وهذا مِن التَّنبيه

(١٥٦) البقاعيُّ، «نظم الدُّرر في تناسب الآياتِ والسور»، ١٧: ١٠١.
(١٥٧) ابن عاشور، «التَّحرير والتَّنوير»، ٢٤: ١٨٥.
(١٥٨) البقاعي، «نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسور»، ٩: ١٥٨.

معتمدة في معامل أرسيف لعام 2024
DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

بالأدنىٰ علىٰ الأعلىٰ؛ لأنَّه نفىٰ مُشابَهةَ مَن اتَّصف بمُطلَق العِلم بالحقِّ بمن اتَّصف بكمال الجهل الثَّابت؛ فأحرىٰ ألَّا يُشبِهَه مَن اتَّصف بكمال العلم الثَّابت؛ فلذلك عبَّر في الأوَّل بالفعل والثَّاني بالاسْم»[١٥٩].

ذَكر ابنُ عرفةَ ﷺ أن سياق هذه الآية الكريمة قد بُني علىٰ حذفِ التَّقابُلِ؛ إذْ حَذف مِن شطر الآية الأول: (يبصر)؛ لأنَّ قولَه في شطرِ الآية الثَّاني: ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ﴾ دلَّ عليه، وحَذف مِن شطرِ الآية الثَّاني: (جاهل)؛ لأنَّ قولَه في شطرِ الآية الأوَّل: ﴿يَعْلَمُ﴾ دلَّ عليه.

وعلىٰ ذلك يكون نظمُ الآية -بعد تقديرِ وجودِ حذفِ التَّقابُلِ فيها عند ابن عرفة- علىٰ النَّحو الآتي:

﴿أَفَمَن﴾ (يبصر) فـ ﴿يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ (جاهل)، ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾ [الرعد:١٩].

ولعلَّ السِّرَّ في بناء نَظْم السِّياق علىٰ الحذف التَّقابُلي هو أنَّه آثر ذِكرَ مَوضِعِ العِبرة في كلِّ جانب؛ فذكر في جانب المؤمن العِلمَ اليقيني المبني علىٰ التَّصديق؛ لأنَّه مَدارُ الفلاح والنَّجاح ومَوضِعُ الشَّرَف والسُّموِّ، وحذف البصيرَ للدَّلالة علىٰ أنَّه إنْ لم يقترن بالإيمان فلا اعتبارَ له أصلًا؛ إذِ الأصلُ هو العلمُ الذي يَهتدي به صاحبُه إلىٰ الحقِّ؛ فيكون كالبصير الذي يَتوقَّىٰ المَكاره. وفي بيان ذلك يقول الرَّازيُّ: «فهذا إشارةٌ إلىٰ المَثَلِ المُتقدِّم ذِكرُه وهو أنَّ العالِمَ بالشَّيء كالبصير، والجاهلَ به كالأعمىٰ[١٦٠]، وليس أحدُهما كالآخَر؛ لأنَّ الأعمىٰ إذا أخذ يَمشِي مِن غير قائدٍ، فالظَّاهرُ أنَّه يقع في البئر وفي المَهالك، وربَّما أَفسَد

(١٥٩) ابن عرفة، «تفسير الإمام ابن عرفة»، (طبعة دار ابن حزم)، ٣: ٥٠٧؛ وينظر: ابن عرفة، «تفسير الإمام ابن عرفة»، (طبعة دار الكتب العلمية)، ٢: ٤٢٨.

(١٦٠) لعلَّه يشير للآية رقم: (١٦) من السُّورة نفسها.

ما كان علىٰ طريقه مِن الأمتعة النَّافعة، أمَّا البصيرُ فإنَّه يكون آمنًا مِن الهلاك والإهلاك»[١٦١]. فالحذفُ في هذا المَوضِعِ أَبلَغُ مِن الذِّكر لإيلاء المذكور مزيدَ عنايةٍ واهتمام، أمَّا في جانب المُعرِض المُكذِّب، فقد ذَكر «العمىٰ»؛ لأنَّه أدلُّ علىٰ تقبيحه ببيانِ شِدَّةِ حِيرته؛ فهو لشِدَّةِ عَماه وطَمسِ بصيرته كالمُتخبِّط في ظُلماتِ الجهل وغَياهبِ الضَّلال رغم سُطوعِ شمس الدَّلائل والبراهين[١٦٢]؛ لأنَّ القرآنَ لا يَخفىٰ نُورُه ولا يُجهل قَدْرُه؛ فالذي لا يَرىٰ أحقِّيَّته في الهُدىٰ إنَّما جَرَّه لذلك عَماهُ، والأعمىٰ لا يَرىٰ الشَّمسَ رغم شِدَّة ظهورها، وعدمُ رؤيتِه الشَّمسِ لا يَجعل في الشَّمس لَبْسًا ولا رَيْبًا ولا شَكًّا[١٦٣]، وفي سِياق ذلك يقول ابنُ عاشور: «واستُعير لِمَن لا يَعلَم أنَّ القرآنَ حقٌّ اسمُ الأعمىٰ؛ لأنَّه انتفىٰ عِلمُه بشيءٍ ظاهرٍ بيِّن فأَشْبَه الأعمىٰ؛ فالكافُ للتَّشابُه مُستَعمَلٌ في التَّماثل، والاستواءُ المرادُ به التَّماثُلُ في الفضل بقَرينة ذِكرِ العمىٰ»[١٦٤]، وحذفُ الجهل قطعٌ لِمعذرتهم وإسقاطٌ لها مِن كلِّ جانب؛ لأنَّه لَمَّا كان طريقُ الهُدىٰ شديدَ البيان ومُيسَّرَ السُّلوك لم يَترُك لأحدٍ التَّعذُّرَ بالجهل؛ لذا قال أهلُ المعاني: «الجاهلُ بالدِّين مُمثَّلٌ بالأعمىٰ؛ لأنَّ العِلمَ يُهتَدىٰ به إلىٰ طريق الرُّشد مِن الغَيِّ، كما يُهتدىٰ بالبصَر إلىٰ طريق النَّجاة مِن طريق الهلاك، وبالضِّدِّ مِن هذا حالُ الجهلِ والعمىٰ»[١٦٥]. فآثَر الاقتصارَ علىٰ ذِكر المُسبَّب عن الجهلِ وهو العَمَىٰ لِما سَبق ذِكرُه وبيانُه. والله أعلم.

---

(١٦١) ينظر: الرازي، «مفاتيح الغيب»، ١٩: ٣٢.

(١٦٢) ينظر: أبو السعود، «إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم»، ٥: ١٦.

(١٦٣) محمد الأمين الشنقيطي، «العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِير»، تحقيق: خالد بن عثمان السبت، (ط٢، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ١٤٢٦هـ، ٣: ٤٧٣.

(١٦٤) ابن عاشور، «التَّحرير والتَّنوير»، ١٣: ١٢٣.

(١٦٥) الواحدي، «التفسير البسيط»، ١٢: ٣٣٨.

معتمدة في معامل أرسيف لعام 2024
DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

سورةُ الحجِّ

١٧- قولُهُ تعالىٰ: ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٥٦ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٥٧﴾ [الحج:٥٦-٥٧].

قال ابنُ عرفة: «إنْ قلتَ: قال في الأُولىٰ: ﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾، وقال في الثَّانية ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾، فأجاب بوجوه: الأوَّلُ: أنَّه قَصَد المُبالَغةَ في جهة الكفَّار؛ فلذلك جعل جزاءهم باسْم الإشارة مع الفاء واللَّام في ﴿لَهُمۡ﴾؛ إمَّا بمعنىٰ علىٰ أو ذلك تَهكُّمٌ بهم. الجواب الثَّاني: أنَّ في الآيات حذفَ التَّقابُل؛ فذَكر في الأوَّل الظَّرْفَ، الذي هو محلٌّ للجزاء دون ما يقع فيه الجزاءُ، وذَكر في الثَّاني الجزاءَ دون مَحلِّه، والتَّقديرُ: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فأولئك لهم نَعيمٌ كريم ﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٥٦﴾، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٥٧﴾ في جَهنَّم»(١٦٦).

ذَكر ابنُ عرفةَ ﷺ أنَّ سِياقَ هذه الآية الكريمة قد بُنِيَ علىٰ حذفِ التَّقابُل؛ إذْ حَذف مِن شطر الآية الأول: (لهم نعيم كريم)؛ لأنَّ قولَه في شطرِ الآية الثَّاني: ﴿لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ دلَّ عليه، وحَذف مِن شَطرِ الآية الثَّاني: (في جهنم)؛ لأنَّ قولَه في شطرِ الآية الأوَّل: ﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ دلَّ عليه.

وعلىٰ ذلك يكون نظمُ الآيتَين -بعد تقديرِ وجودِ حذفِ التَّقابُلِ فيهما عند ابن عرفةَ- علىٰ النَّحو الآتي:

(١٦٦) ابن عرفة، «تفسير الإمام ابن عرفة»، (طبعة دار ابن حزم)، ٤: ٣١٦.

﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ (لهم نعيم كريم)، ﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٥٦ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٥٧﴾ (في جهنم) [الحج:٥٦-٥٧].

ولعلَّ السِّرَّ في بناء نَظْم السِّياق على الحذف التَّقابُلي هو أنَّه آثر في الأوَّل ذِكرَ الظَّرْف، الذي هو محلٌّ للجزاء دون ما يقع فيه الجزاءُ لِما تَقرَّر في العَهْد الذِّهني واستفاض مِن العِلم، بأنَّ دخولَ الجنَّة هو أعظمُ المَفاوِز وأجلُّ الغايات التي يُسعىٰ إليها ويَرتجيها كلُّ مؤمن، وهو ظَرفٌ مرتبطٌ ارتباطًا كُليًّا بالنَّعيم مِن أدنىٰ درجاته إلىٰ أعلاها؛ إذْ وَرد في الحديث أنَّ موسىٰ عليه السلام سأل ربَّه قائلًا: «مَا أَدْنَىٰ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَمَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ؟ فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَىٰ أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنيا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، قَالَ: رَبِّ، فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ، قَالَ: وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللهِ ﷻ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة:١٧]، الْآيَةَ»(١٦٧). فآثَر ذِكرَ الظَّرْف مع وصْفِه بالنَّعيم وإبهامَ نَوعِ النَّعيم لتعظيم شأنه، ولِتَتشوَّفَ له نفسُ السَّامع وتَذهبَ فيه كلَّ مَذهَبٍ، أمَّا في الثَّاني فآثَر ذِكرَ الجزاء دون مَحلِّه؛ لأنَّه أنكأُ فيهم وأشدُّ وطأةً في نفُوسهم، وأشدُّ تحقيرًا لهم؛ لا سيَّما وأنَّ الكِبرَ والعِنادَ

(١٦٧) الحديث صحيح: أخرجه مسلم بلفظه في «صحيحه» كتاب الإيمان، باب: أدنىٰ أهل الجنة منزلة فيها، ح: ١٨٩؛ ١: ١٢٠.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

هُما السَّببُ المانع لهم عن قَبُول الحقِّ، كما دلَّ عليه صَدرُ السِّياق في قَولِه تعالىٰ: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٖ ٥٥﴾ [الحج:٥٥]؛ فناسَب أنْ يَذكُرَ نَوعَ العذابِ الذي يدلُّ علىٰ أنَّ الجزاءَ مِن جنس العمل؛ أي: بسببِ سعيِهم في الدُّنيا لإهانة آياتنا مُريدين إعزاز أنفُسهم بمُغالَبتها والتَّكبُّر عن اتِّباعها جازَيناهم بالإذلال والإهانة في الآخِرة[١٦٨]. وفي هذا يقول ابنُ عاشور في مَعرِض تفسيره للآية: «وافتتح الخبرَ عن الذين كفروا باسْم الإشارة في قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٥٧﴾ للتَّنبيه علىٰ أنَّهم استحَقُّوا العذابَ المُهين لأجْل ما تَقدَّم مِن صِفتهم بالكُفر والتَّكذيب بالآيات»[١٦٩]، وحذف محلَّ العذاب؛ لأنَّ الحديثَ في مَعرِض التَّهديد والوعيد وهُم -كما سَبق ذِكرُه في السِّياق- في شكٍّ وريبٍ وإنكارٍ لأمر الآخرة وما فيها مِن بعثٍ وجزاء؛ فجاء النَّصُّ مُناسبًا للحديث مع كلِّ فِرقةٍ منهما بما يُناسبها، وهذا مِن الإعجاز البلاغي كما لا يخفىٰ. والله أعلم.

سورةُ الشُّعراءِ

١٨- قولُهُ تعالىٰ: ﴿فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ٣٢ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ٣٣﴾ [الشعراء:٣٢-٣٣].

قال ابنُ عرفة: «عبَّر بالنَّزْع دون الإخراج إشارةً إلىٰ أنَّه يُنزِل نفْسَه مَنزِلةَ مَن فارَق يدَه لشِدَّة مُخالَفة لَونِها لَونه فصار كنَزعِ الثَّوْب، ونزع يدَه فإذا هي بيضاءُ بياضًا مُبينًا. قال: وأُجيب بوَجهَين[١٧٠]: الأوَّلُ: أنَّه مِن حذفِ التَّقابُل؛ أي

(١٦٨) ينظر: البقاعي، «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، ١٣: ٧٦.

(١٦٩) ابن عاشور، «التَّحرير والتَّنوير»، ١٧: ٣١٠.

(١٧٠) النقل صحيح بحسَب طبعتَي الكتاب الصَّادرتَين عن دار ابن حزم ودار الكتب العلمية، لكنَّنا =

فإذا هي ثعبانٌ مُبِين للنَّاظرين، ونزع يدَه فإذا هي بيضاءُ مُبِينةٌ للنَّاظرين، وما يؤكِّد هذا أنَّ المنطقيِّين ذكروا أنَّه لا بُدَّ لكلِّ شيءٍ مِن فاعلٍ وقابِل»[171].

ذَكر ابنُ عرفةَ أن في هاتين الآيتَين حذفَ تقابل، حيث حذف من الآية الأولىٰ: (لِلنَّاظِرِينَ)؛ لأنَّ قولَه في الآية الثَّانية: ﴿لِلنَّٰظِرِينَ﴾ دلَّ عليه، وحَذف مِن شطرِ الآية الثَّانية: (مُبِينةٌ)؛ لأنَّ قولَه في الآية الأولىٰ: ﴿مُّبِينٌ﴾ دلَّ عليه.

وعلىٰ ذلك يكون نظمُ الآيتَين -بعد تقديرِ وجودِ حذفِ التَّقابُلِ فيهما عند ابن عرفةَ- علىٰ النَّحو الآتي:

﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾﴾ (لِلنَّاظِرِينَ) ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ﴾ (مُبِينةٌ) ﴿لِلنَّٰظِرِينَ﴾ [الشعراء:٣٢-٣٣].

في هاتَين الآيتَين يذكُر اللهُ ﷻ مُعجِزتَين خارِقتَين عظيمتَين أعطاهما لنبيِّه موسىٰ عليه السلام؛ إحداهما في غَير نفْسِه، وهي العصا التي يُمسِكها بيَده، والأخرىٰ في نفْسه وتلك اليدُ البيضاء؛ فالأُولىٰ -وهي العصا- مُعجِزتُها تَكمُن في تَحوُّلها مِن جَمادٍ إلىٰ مُتحرِّكٍ حيٍّ، والأَمْيزُ فيه أنَّه ثعبانٌ ظاهرُ الثُّعبانية، لا شكَّ عند رائيه فيه، لا كما يكون عند الأمورِ السِّحريةِ مِن التَّخييلات والتَّشبيهات؛ فهذا الثُّعبانُ الذي تَحوَّل عن العصا ليس بتمويهٍ وتخييلٍ كما يَفعَله السَّحَرةُ، بل هو ثعبانٌ ظاهرٌ بيِّنُ الثُّعبانية؛ فلعلَّ هذا هو سِرُّ إظهارِ البيان عنده. وإضمارُ (النَّاظرين) لكَونِ الأحرىٰ بالتَّأكيد عليه هنا كَونَه ثُعبانًا ظاهرًا لا تَشُوبه شائبةُ خَيالٍ أو وهمٍ،

= نرىٰ- والله أعلم- أنَّ ها هنا سقطًا في الأصل؛ فكأنَّ هناك من سأل، قائلًا: لماذا لم توصف اليدُ بالمبينة كما وصف الثعبان بالمبين، ولماذا لم يُضَف مع الثعبان: للنَّاظرين، وأضيف لليد. أو شيء من هذا القبيل.

(١٧١) ابن عرفة، «تفسير الإمام ابن عرفة»، (طبعة دار ابن حزم)، ٤: ٤٢٦. وينظر: ابن عرفة، «تفسير الإمام ابن عرفة»، (طبعة دار الكتب العلمية)، ٣: ٢٤٢.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

كما في أفعال السَّحَرة، بلْ هو مُعجِزةٌ مِن الله ظاهرةٌ لا غُبارَ عليها ولا رَيبَ فيها. والمُعجِزةُ الثَّانية -التي هي اليدُ- مُعجِزتُها تكمُن في كَونِها خَرجتْ شديدةَ البَياض بَياضُها بَياضٌ نُورانِيٌّ، فلأنَّ اليدَ خَرجتْ ببَياضٍ تَتوَافَر الدَّواعي إلىٰ نظرِه؛ لخُروجه عن العادة بأنَّ له نُورًا كَنُورِ الشَّمس يكاد يُغشي الأبصارَ؛ فالأَميَزُ في حاله أنْ يَظهَر أنَّها كانتْ ممَّا يجتمع النَّظَّارةُ علىٰ النَّظر إليه لخروجه عن العادة؛ فأظهر عنده لفظ (النَّاظرين) لكَونِه حريًّا بالتَّأكيد عليه، وأضمر (مبين) مُقابِلَه، وجَمع في الآيتَين مُعجِزتَين عظيمتَين بتبديل الذَّوات مِن الخَشبيَّة إلىٰ الحيوانية في الأُولىٰ، وتبديلِ الأعراض مِن السُّمْرة إلىٰ البياض السَّاطع في الثَّانية؛ فكانتا مُعجِزتَين كليهما مُبينتين وتستدعيان النَّاظرين؛ فجاء النَّظْمُ مُعجِزًا بليغًا في كلِّ مَوضِعٍ بإظهار ما هو حريّ بإظهاره عنده، وما هو الأَوْلىٰ به والأَبْينُ في وجه إعجازه، مع إضمارِ الآخَرِ والإشارةِ لكلِّ مُضمَرٍ بمذكورٍ يقابله، في نظمٍ مُعجِزٍ يستدعي العقولَ للتَّأمُّل والتَّفكُّر في حَبْكةِ نَظْمه[١٧٢].

سورة النَّمل

١٩- قَولُه تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [النمل:٨٦].

قال ابنُ عرفة: «فيها حذفُ التَّقابُل.. والتقديرُ: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ﴾ مُظلِمًا ﴿لِيَسْكُنُواْ فِيهِ﴾، ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ لتَبتَغوا فيه مِن فضله. فحَذف مِن الأوَّل نقيضَ ما ذُكر في الثَّاني، ومِن الثَّاني نقيضَ ما ذَكره في الأوَّل»[١٧٣].

---

(١٧٢) ينظر: أبو حيان، «البحر المحيط في التفسير»، ٨: ١٥٣؛ البقاعي، «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، ١٤: ٢٣/٢٨-٢٩؛ الآلوسي، «روح المعاني»، ١٠: ٧٥.

(١٧٣) ابن عرفة، «تفسير الإمام ابن عرفة»، (طبعة دار ابن حزم)، ٤: ٤٩١.

ذَكر ابنُ عرفةَ ﵀ أنَّ سِياقَ هذه الآية الكريمة قد بُني على حذف التَّقابُل؛ إذْ حَذف مِن شطر الآية الأول: (مُظلِمًا)؛ لأنَّ قولَه في شطرِ الآية الثَّاني: ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًا﴾ دلَّ عليه، وحَذف مِن شطرِ الآية الثَّاني: (لتبتغوا فيه من فضله)؛ لأنَّ قولَه في شطرِ الآية الأوَّل: ﴿لِيَسۡكُنُواْ فِيهِ﴾ دلَّ عليه.

وعلى ذلك يكون نظمُ الآية -بعد تقديرِ وجودِ حذفِ التَّقابُلِ فيها عند ابنِ عرفةَ- على النَّحو الآتي:

﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ﴾ (مُظْلِمًا) ﴿لِيَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًا﴾ (لَتبتَغوا فيه مِن فضله)، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٨٦﴾ [النمل:٨٦].

ولعلَّ السِّرَّ في بناء النَّظْم على الحذف التَّقابُلي هو أنَّه ذَكر في السِّياق آياتِ البعث والنُّشور الأدلَّ على القُدرة الباهرة وتَمام المُلْك وكماله، وعظيمِ نِعَمِه على العِباد وامتنانه؛ تذكيرًا للمشركين بدلائلِ الوَحْدانيَّة الأقربِ إليهم، والتي تَتعاقب عليهم في كلِّ يومٍ مرَّتين، ودلائلِ البعثِ والنُّشور؛ وذلك أنَّ مَن قَدَر على إبدال الظُّلْمة بالنُّور في مادَّةٍ واحدة قادرٌ على إبدال المَوت بالحياة، وهو هنا يذكِّر بتمثيل المَوْتة الصُّغرى والحياة بعْدها بسُكون اللَّيل وانبثاق النَّهار عَقِبَه، ومَن انفرد بالقُدرة والتَّصرُّف في جعلِ اللَّيل والنَّهار سَببَين لمنافع النَّاس ومصالحهم لا يُخِلُّ بما هو مَناطُ جميع مَصالحهم في مَعاشهم ومَعادهم، ومَن اتَّصف بتلك الصِّفات هو المُتوجِّبُ والمُستحِقُّ للانفراد بالألوهيَّة؛ إذْ تَخضع أصنامُهم لهذا النِّظام الكَونيِّ الذي قدَّره ﷻ دون قُدرةٍ منها على تغييره، وهذا أظهرُ دليلٍ على عَجْزها[١٧٤]؛ فآثَر ذِكرَ الأشدِّ ارتباطًا بالسِّياق والأنسبِ بالسِّباق واللِّحاق، وحَذف ما دُونه لشِدَّة ظهور معناه، وللاعتناءِ بالمذكور وما دلَّ عليه

(١٧٤) ينظر: البيضاوي، «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»، ٤: ١٦٨؛ والآلوسي، «روح المعاني»، ١٠: ٢٤٠؛ وابن عاشور، «التَّحرير والتَّنوير»، ٢٠: ٤٣.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

مِن الدَّلائل العظيمة التي سَبق ذِكرُها. وقد سبق الحديثُ عن نظير هذا الشَّاهد المُطابق له في الشَّاهد رقم: (١٥) بما يغني عن إعادته والإطالة فيه؛ فلْيُراجَعْ في محلِّه.

سورةُ الأحزاب

٢٠- قولُه تعالىٰ: ﴿لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ [الأحزاب:٢٤].

قال ابنُ عرفة: «قالوا: اللَّامُ للصَّيرُورة، باعتبار أنَّ فاعلَ الفِعل المُعلَّل بها غيرُ فاعلٍ للعِلَّة المُستفادة منها، أو باعتبار الفعلِ معطوفًا عليها، وهو: يعذِّب المنافقين. قال: وكان بعضُهم يقول: لَمَّا ذَكر سببَ جزاء الصَّادقين ولم يَذكُرْ جزاءَ المنافقين فلم يَقُلْ: «ويُعذِّبَ المنافقين بنِفاقهم». فقال: كان يجيب بأنَّه تهييجٌ علىٰ فِعل المأمور به، واكتفىٰ في النَّهْي عنه بمُطلَق النَّهْي، وظاهرُ كلام ابنِ عطيَّة[١٧٥] أنَّه جعله مِن حَذفِ التَّقابُل»[١٧٦].

نقل ابنُ عرفة ﷺ عن ابنِ عطيَّةَ ﷺ أنَّ سِياقَ هذه الآية الكريمة قد بُني علىٰ حذف التَّقابُل؛ إذْ حَذف مِن شطر الآية الأول: (ثوابًا جزيلًا)؛ لأنَّ قولَه في شطرِ الآية الثَّاني: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ﴾[١٧٧] دلَّ عليه، وحَذف

(١٧٥) ينظر: ابن عطية، «المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»، ٤: ٣٧٨.

(١٧٦) ابن عرفة، «تفسير الإمام ابن عرفة»، (طبعة دار ابن حزم)، ٤: ٦٩٠.

(١٧٧) قد يرد هنا إشكالٌ تفسيري؛ وهو أنَّه ﷺ قد ذَكر في آياتٍ كثيرةٍ أنَّ عذابَ المنافقين حَتْمٌ، فكيف يصحُّ تعليقه علىٰ المشيئة، وهو قد شاء تعذيبهم إذا تُوُفُّوا علىٰ النفاق؟ وقد أورد أبو حيَّانَ هذا الإشكالَ في ثنايا تفسيره الآية ونقل جوابَ ابنِ عطيَّةَ عنه. يقول ابنُ عطيَّة: «واللَّامُ في قَولِه تعالىٰ: ﴿لِيَجْزِيَ﴾ لامُ الصَّيرورة والعاقبة، ويحتمل أنْ تكونَ لامَ كيْ، وتعذيبُ المنافقين ثمرةُ إدامتهم علىٰ النِّفاق إلىٰ موتهم، والتَّوبةُ مُوازيةٌ لتلك الإدامة، وثمرةُ التَّوبة تركُهم دون عذاب؛ =

مِن شطرِ الآية الثَّاني: (بنِفاقهم)؛ لأنَّ قولَه في شطرِ الآية الأوَّل: ﴿بِصِدْقِهِمْ﴾ دلَّ عليه.

وعلىٰ ذلك يكون نظمُ الآية -بعد تقديرِ وجودِ حذفِ التَّقابُلِ فيها عند ابنِ عرفةَ- علىٰ النَّحو الآتي: ﴿لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ (ثوابًا جزيلًا)، ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ (بنِفاقهم)، ﴿إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ [الأحزاب:٢٤].

ولعلَّ السِّرَّ في بناء نَظْم السِّياق علىٰ الحذف التَّقابُلي هو أنَّ هذه الآيةَ أعقبتْ آيةً فيها ذِكرُ وصفِ فريقٍ مِن المؤمنين؛ وهي قولُه تعالىٰ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣]؛ فناسَب أنْ تُصدَّرَ الآيةُ بذِكر حتميةِ الجزاء المُترتِّبة علىٰ الصِّدق والتَّصديق اعتناءً بأمره ولَفْتًا لعُلوِّ مرتبته(١٧٨)، ولإلْباسهم صِفةَ الصِّدق التي حقَّقوها في أنفُسهم، فكانوا الصَّادقين مع الله حقًّا(١٧٩)، فضلًا عمَّا في ذِكر تلك الصِّفات مِن الدَّلائل علىٰ عِظَم جزاء

= فهُما درجتان: إقامةٌ علىٰ نِفاق أو تَوبةٌ منه، وعنهما ثمرتان: تعذيبٌ أو رحمة؛ فذكر تعالىٰ -علىٰ جهة الإيجاز- واحدةً مِن هاتَين وواحدةً مِن هاتَين، ودلَّ ما ذَكر علىٰ ما تَرك ذِكرَه. ويدلُّك علىٰ أنَّ معنىٰ قوله «ليُعذِّبَ» ليُديمَ علىٰ النِّفاق قولُه: ﴿إِن شَآءَ﴾ ومُعادَلتُه بالتَّوبة وبحرف ﴿أَوْ﴾، ولا يُجوِّز أحدٌ أنَّ ﴿إِن شَآءَ﴾ يصحُّ في تعذيب منافقٍ علىٰ نِفاقه، بلْ قد حتَّم اللهُ علىٰ نفْسه بتعذيبه». ابن عطية، «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»، ٤: ٣٧٨. وأردف أبو حيَّانَ مُفسِّرًا المعنىٰ: «وكان ما ذَكر يَؤُول إلىٰ أنَّ التَّقدير: لِيُقِيموا علىٰ النِّفاق فيموتوا عليه؛ إن شاء فيُعذِّبَهم، أو يَتُوبَ عليهم فيَرحمَهم». أبو حيان، «البحر المحيط في التفسير»، ٨: ٤٦٨. وقال الحدَّادُ: «فمعنىٰ شرطِ المشيئة في عذاب المنافقين إماتتُهم علىٰ النِّفاق إنْ شاء ثمَّ يُعذِّبُهم، ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ فيَغفرَ لهم، ليس أنَّه يجُوز أنْ لا يُعذِّبَهم إذا ماتوا علىٰ النِّفاق». تفسير الحدَّاد، ٥: ١٨١.

(١٧٨) ينظر: الآلوسي، «روح المعاني»، ١١: ١٦٩.

(١٧٩) ينظر: الخطيب، «التفسير القرآني للقرآن»، ١١: ٦٨٢.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

الفعل المذكور وتأكيدِ تشريف أهله وتكريمهم؛ وذلك بوَسْمهم بأعلىٰ مراتب الإيمان وأشرفها وهي الصِّدقُ والتَّصديقُ، وجعلِه عِلَّةَ الجزاء تِبيانًا لعَظَمته وفضله، وهذه أعلىٰ مراتب التَّمييز والتَّشريف والتَّكريم التي تحثُّ علىٰ الاتِّصاف بوصفهم والالْتحاق بصفوفهم، كما أنَّ فيه تعريضًا بالمنافقين الذين كَذَبوا علىٰ الله ورسوله، وحَذَف الجزاءَ إبهامًا له وتفخيمًا لشأنه وتعظيمًا لأمره؛ لتَذهبَ فيه نفسُ السَّامع كلَّ مَذهَبٍ؛ لا سيَّما إنْ كان الجزاءُ مِن ربِّهم المُحسِن إليهم مُتعلِّقًا بالصدق؛ فهل يُجزىٰ المُحسِنون إلَّا إحسانًا كما يقول سبحانه: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمن:٦٠][١٨٠]. وفي بيان ذلك يقول الطِّيبيُّ: «ليَجْزِيَ الصَّادقين بصِدْقِهم ما لا يدخُل تحْت الوَصْفِ والعَدِّ»[١٨١]، أمَّا في الطَّرَف الثَّاني مِن الآية، فقد آثَر ذِكرَ عذاب المنافقين؛ لأنَّه أدلُّ علىٰ تحقيرِهم والحطِّ مِن شأنهم بتحقيق عذابِ مَن لم يؤمن منهم تهويلًا وتخويفًا مِن النِّفاق، وتحريضًا لهم علىٰ التَّوبة بذِكر جلال صِفات المغفرة والرَّحمة التي خَتم بها الآيةَ. وفي هذا يقول السَّعديُّ: «﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ بأنْ يُوفِّقهم للتَّوبة والإنابة، وهذا هو الغالب علىٰ كَرَم الكريم، لهذا ختم الآيةَ باسمَين دالَّيْن علىٰ المغفرة والفضل والإحسان فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾؛ ﴿غَفُورًا﴾ لذُنوب المُسرِفين علىٰ أنفسهم -ولو أكثروا مِن العصيان- إذا أَتَوْا بالمَتاب ﴿رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ بهم حيث وفَّقهم للتَّوبة ثمَّ قَبِلها منهم، وسَتَر عليهم ما اجترحوه»[١٨٢]، وعلىٰ الجانب الآخر حذف سببَ العذاب -وهو دَيمُومتهم علىٰ النِّفاق إلىٰ الوفاة-

(١٨٠) ينظر: الخطيب، «التفسير القرآني للقرآن»، ١١: ٦٨٢؛ وابن عاشور، «التَّحرير والتَّنوير»، ٢١: ٣٠٩.

(١٨١) الطيبي، «فتوح الغيب في الكشف عن قِناع الرَّيْب»، ١٢: ٤٠٧.

(١٨٢) السعدي، «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، ص٦٦٢.

اكتفاءً بوَسْمِهم بالمنافقين لِما فيه مِن دَلالةٍ عريقة بيِّنة واضحة على سببيَّة العذاب(١٨٣). والله أعلم.

سورةُ سبأ

٢١-قولُه تعالىٰ: ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾ [سبأ:٤٩].

قال ابنُ عرفة: «يحتمل أنْ يكونَ فيه حذفُ التَّقابُل؛ أي: قل جاء الحقُّ يُبدِئ ويُعيد، وزَهَق الباطلُ وما يُبدِئ وما يُعيد»(١٨٤).

ذَكر ابنُ عرفةَ أنَّ في هذه الآية حذفَ تَقابُلٍ حيث حَذَف مِن شطر الآية الأول: (يُبدئ ويعيد)؛ لأنَّ قولَه في شطرِ الآية الثَّاني: ﴿وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ دلَّ عليه، وحَذف مِن شطرِ الآية الثَّاني: (زهق الباطل)؛ لأنَّ قولَه في شطرِ الآية الأوَّل: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ دَلَّ عليه.

وعلىٰ ذلك يكون نظمُ الآية -بعد تقديرِ وجودِ حذفِ التَّقابُل فيها عند ابنِ عرفةَ- علىٰ النَّحو الآتي:

﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ (يبدئ ويعيد) (وزهق الباطل) ﴿وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾ [سبأ:٤٩].

في هذه الآية الكريمة يبيِّن اللهُ ﷻ في المُجْمل علىٰ تقدير وجود حذف التَّقابُل في النَّظم أنَّ الحقَّ قد جاء وظهر وبظُهوره هَلَك الباطلُ؛ فالمعنىٰ «جاء

(١٨٣) ينظر: ريحان، خديجة عصام، «الاحتباك وأثره في بيان المعنىٰ في كتاب نَظْم الدُّرر للبِقاعيِّ- جمعًا ودراسةً- من أوَّل القرآن إلىٰ نهاية سورة لُقمان». رسالة دكتوراه. (مكة المكرمة: جامعة أمِّ القرىٰ، ١٤٤٤هـ-٢٠٢٢م)، ص١٥٤.

(١٨٤) ابن عرفة، «تفسير الإمام ابن عرفة»، (طبعة دار ابن حزم)، ٤: ٧٦٨.

معتمدة في معامل أرسيف لعام 2024
DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

الحقُّ وهَلك الباطل»[١٨٥]؛ «لأنَّه إذا جاء الحقُّ انْقَشعَ الباطلُ مِن المَوْضِعِ الذي حَلَّ فيه الحَقُّ»[١٨٦]، وبيَّن أنَّ الباطلَ هالكٌ لا يَقدِر لا علىٰ بَدْءٍ ولا إعادةٍ «بَلْ هو كالجَمادِ لا حَرَكَةَ بِهِ أصْلًا»[١٨٧] وأنَّ الحقَّ عكسُه، قويٌّ باقٍ يُبدئ ويُعيد؛ فالبَدْءُ والإعادة هنا كنايةٌ عن الهلاك والبقاء؛ وذلك أنَّ الموجودَ الذي تكون له آثارٌ إمَّا أنْ تكونَ آثارُه مُستأنَفةً أو مُعادةً؛ فإذا لم يكن له إبداءٌ ولا إعادةٌ فهو معدومٌ، وأصلُه مأخوذٌ مِن تَصرُّف الحيِّ، ويقولون أيضًا: فلانٌ ما يبدئ وما يعيد؛ أي ما يَتكلَّم ببادئةٍ ولا عائدةٍ؛ أي لا يرتجل كلامًا ولا يجيب عن كلامِ غَيره؛ فيكون (ما يُبدئ وما يُعيد) فيه نفيٌ للقُدرة علىٰ الإبداء والإعادة، وهو كنايةٌ عن الهلاكِ في جانب الباطل، وعن عكسِه في جانب الحقِّ إذْ فيه إثباتٌ للقُدرة علىٰ الإبْداء والإعادَة فهو كنايةٌ عن البقاء والثَّبات والقُوَّة[١٨٨]؛ فالحيُّ الباقي يُبدئ فِعلًا أو يُعيده، والميتُ الهالك لم يَبْقَ له إبداءٌ ولا إعادة[١٨٩]. واكتفىٰ بذِكر الحقِّ وإظهار مجيئه عن الإشارة إلىٰ ذَهاب الباطل وزُهوقه لكَونهما لا يجتمعان فمجيءُ أحدهما يعني ذَهابَ الآخَر، واكتفىٰ بذِكر أنَّ الباطل لا يُبدِئُ لِأهلِه خَيرًا ولا يُعيدُه - أيْ لا يَنفَعُهم في الدُّنيا والآخرَة[١٩٠]- عن الإشارة إلىٰ كَونِ الخير عكسُه يبدئ ويعيد لكَونه مفهومًا معلومًا في قلوب أصحابه علىٰ النَّقيض مِن الباطل؛ فذَكر في كلِّ جانبٍ ما أَضمَر في الآخَر، وأشار

(١٨٥) الزمخشري، «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل»، ٣: ٥٩١.

(١٨٦) ابن عاشور، «التَّحرير والتَّنوير»، ٢٢: ٢٣٩.

(١٨٧) البقاعي، «نظم الدرر في تناسب الآيات والسِّور»، ١٥: ٥٣٣.

(١٨٨) ينظر: ابن عاشور، «التَّحرير والتَّنوير»، ٢٢: ٢٣٩.

(١٨٩) ينظر: الزمخشري، «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل»، ٣: ٥٩١.

(١٩٠) ينظر: أبو حيان، «البحر المحيط في التفسير»، ٨: ٥٦٣-٥٦٤.

لكلِّ محذوفٍ بمذكورٍ يقابله؛ ليَخرُجَ نظمُ الآية مُوجَزًا بليغًا، حاويًا جملةً مِن المعاني في كلماتٍ قليلة، مُبرهِنًا على أنَّ هذا القرآنَ مِن كلام العزيز الحكيم.

سورةُ يس

٢٢-قولُه تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٢﴾ [يس:٢٢].

قال ابنُ عرفة: «قيل: أَسند العبادةَ لنفْسه وحْده والرَّجعةَ إليهم، وهَلَّا قيل: وإليه أَرجِع؟ فأجيب بوجوهٍ: الأوَّلُ أنَّه مِن حذفِ التَّقابُل؛ أي الذي فَطَرني وفَطَركم، وإليه تُرجعون وأَرجِع...»(١٩١).

ذَكر ابنُ عرفةَ ﷺ أنَّ سِياقَ هذه الآية الكريمة قد بُنِيَ على حذف التَّقابُل؛ إذْ حَذف مِن شطر الآية الأول: (وإليه أَرجِع) لأنَّ قولَه في شطرِ الآية الثَّاني: ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ دلَّ عليه، وحَذف مِن شطرِ الآية الثَّاني: (وما لكم لا تعبُدون الذي فطركم)؛ لأنَّ قولَه في شطرِ الآية الأوَّل: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ دلَّ عليه.

وعلى ذلك يكون نظمُ الآية -بعد تقديرِ وجودِ حذفِ التَّقابُل فيها عند ابنِ عرفةَ- على النَّحو الآتي:

﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ (وإليه أَرجِع)، (وما لكم لا تَعبدون الذي فطركم)، ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٢﴾ [يس:٢٢].

ولعلَّ السِّرَّ في بناء نظم الآية على الحذف التَّقابُلي هو بيانُ آداب الدَّاعي، وتعليمُه استعمالَ الأساليب الدَّعوية؛ كالتَّنزُّلِ مع الخَصْم، والتَّدرُّجِ في إقناعه

(١٩١) ابن عرفة، «تفسير الإمام ابن عرفة»، (طبعة دار ابن حزم)، ٤: ٧٨٩.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

بالحُجج والبراهين الشَّرعية والعقلية؛ لذا ذَكَر أوَّلًا في جانبه داعي الفِطرة -المُستوجِب لتوحيد الرُّبوبية والألُوهية- تنبيهًا لهم إلىٰ تلك النِّعْمةِ العظيمة نِعمةِ الإيجاد مِن العدم التي تستحقُّ الامتنانَ والشُّكر؛ فإنَّ الخالقَ ابتداءً مالكٌ، والمالكُ -كما هو معهودٌ- يجب علىٰ المملوك إكرامُه وتعظيمه، وهو أيضًا مُنعِمٌ بالإيجادِ، والمُنعِمُ يجب علىٰ المُنعِم شُكرُ نِعمته[١٩٢]؛ إذْ إنَّ هذا الأمرَ قد شَهِد العقلُ بصحَّته؛ فمَن فَطَر واخترعَ وأَخرَج مِن العدم إلىٰ الوجود هو الذي يَستحقُّ أنْ يُعبدَ لا غَيرُه[١٩٣]، وصرْفه الكلامَ عنهم -إذ لم يقل: وما لكم لا تَعبُدون الذي فَطَركم- ترقيقٌ للكلام، وتلطُّفٌ في الدُّعاء، وإمحاضٌ في النُّصْح، واستجلابٌ لهم بإظهارِ الإنصاف والبُعدِ عن التَّصريح بالخِلاف[١٩٤]؛ إذ أثبت لهم أنَّه اختار لهم ما اختاره لنفْسه؛ لأنَّه إذا ذكره في حقِّ نفْسه فقد ذكره في حقِّهم فحصل المقصودُ مِن غيرِ تعنيفٍ ولا تشديدٍ[١٩٥]، والمرادُ التَّعريضُ بتقريعهم علىٰ تركِ عبادة خالقهم إلىٰ عبادة غَيره ممَّا لا يَنفَع ولا يضرُّ. وفي بيان ذلك يقول ابنُ عاشور: «وإنَّما ابتدأه بإسناد الخبر إلىٰ نفْسه لإبرازه في مَعرِض المُناصَحة لنفْسه وهو مُريدٌ مُناصَحتَهم ليَتلطَّفَ بهم ويُداريَهم فيُسمِعَهم الحقَّ علىٰ وجهٍ لا يثير غضبَهم، ويكون أَعْونَ علىٰ قَبُولهم إيَّاه حين يَرَوْن أنَّه لا يريد لهم إلَّا ما يريد لنفْسه»[١٩٦]، وفي المُقابل أَسنَد إليهم أمرَ الرُّجوع إليه ﷻ.

---

(١٩٢) ينظر: الرازي، «مفاتيحُ الغيبِ»، ٢٦: ٢٦٤.

(١٩٣) ينظر: ابن عطية، «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»، ٤: ٤٥١.

(١٩٤) ينظر: البيضاوي، «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»، ٤: ٢٦٦؛ والبقاعي، «نظم الدرر في تناسُب الآيات والسور»، ١٦: ١١١؛ وأبو السعود، «إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم»، ٧: ١٦٤؛ والآلوسي، «روح المعاني»، ١١: ٣٩٨.

(١٩٥) ينظر: النسفي، «التَّيسير في التَّفسير»، ١٢: ٣٥٠.

(١٩٦) ابن عاشور، «التَّحرير والتَّنوير»، ٢٢: ٣٦٨.

ثانيًا: مُبالَغةً في التَّهديد والوعيد بتخويفهم بالرُّجوع إلىٰ مَن سيحاسبهم ويجازيهم عن الخَيرِ والشَّرِّ؛ إذِ الوعيدُ يقتضي التَّحذيرَ والزَّجْر فكان في إضافته إليهم أبلغَ أثرًا، وإلَّا فلا شكَّ في عِلمه أنَّ الرُّجوعَ له ولهم(١٩٧). والله أعلم.

وقد وافَق ابنَ عرفة من المفسِّرين في الإشارة لهذا النَّوع البلاغي في الآية البِقاعيُّ(١٩٨).

٢٣- قولُه تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس:٦٥].

قال ابنُ عرفة: «ويحتمل أنْ يكونَ في الآية حذفُ التَّقابُل؛ أي تُكلِّمنا أيديهم وتَشهَد، وتُكلِّمنا أرجُلُهم وتَشهَد»(١٩٩).

ذَكر ابنُ عرفةَ ﷺ أنَّ سِياقَ هذه الآية الكريمة قد بُني علىٰ حذف التَّقابُل؛ إذْ حَذف مِن شطر الآية الأول: (فتَشهَد عليهم)؛ لأنَّ قولَه في شطرِ الآية الثَّاني: ﴿وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم﴾ دلَّ عليه، وحَذف مِن شطرِ الآية الثَّاني: (فتُكلِّمنا)؛ لأنَّ قولَه في شطرِ الآية الأوَّل: ﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ﴾ دلَّ عليه.

وعلىٰ ذلك يكون نظمُ الآية -بعد تقديرِ وجودِ حذفِ التَّقابُلِ فيها عند ابنِ عرفةَ- علىٰ النَّحو الآتي:

---

(١٩٧) ينظر: ابن عطية، «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»، ٤: ٤٥١؛ القرطبي، «الجامع لأحكام القرآن»، ١٥: ١٨؛ البيضاوي، «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»، ٤: ٢٦٦؛ البقاعي، «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، ١٦: ١١١؛ وأبو السعود، «إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم»، ٧: ١٦٤؛ ابن عاشور، «التَّحرير والتَّنوير»، ٢٢: ٣٦٨؛ وريحان، «الاحتباك وأثره في بيان المعنىٰ في كتاب نَظْم الدُّرر للبِقاعي - جمعًا ودراسةً- مِن أوَّل سورة السَّجدة إلىٰ آخر القرآن»، ص٢١٦.

(١٩٨) ينظر: البقاعي، «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، ١٦: ١١١.

(١٩٩) ابن عرفة، «تفسير الإمام ابن عرفة»، (طبعة دار الكتب العلمية)، ٣: ٣٥٥.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ﴾ (فتشهدُ عليهم)، ﴿وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم﴾ (فتُكلِّمُنا)[٢٠٠]، ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٦٥﴾ [يس:٦٥].

ولعلَّ السِّرَّ في بناء نَظْم السِّياق على الحذف التَّقابُلي هو أنَّه آثَر ذِكرَ الأشدِّ ارتباطًا بكلِّ جارحةٍ مِن الجوارح؛ فنَسَب ﷺ الكلامَ إلى الأيدي دُون الشَّهادة لمزيد اختصاصها بمُباشَرة الأعمال حتَّى كَثُرتْ نِسبةُ العمل إليها بطَريق الفاعلية؛ فالأفعالُ المُكتسَبة تُسند إليها في غالب الأمر كما دلَّ عليه قَولُه: ﴿وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡ﴾ [يس:٣٥]؛ أي ما عَمِلوه، وقال: ﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾ [البقرة:١٩٥]؛ أي ولا تُلْقُوا بأنفُسكم، وقال: ﴿يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ﴾ [النبأ:٤٠]، وغيرُها مِن الآيات؛ فهذه الشَّواهدُ تدلُّ على إضافة الأعمال للأيْدي لكثرة مُباشَرتها لها فكأنَّها هي العاملةُ؛ لِذا جُعل ما كان مِن اليد كلامًا، وما كان مِن الرَّجل شهادةً لأنَّه الأنسبُ بها؛ فاليدُ هي المُباشِرةُ للعمل والرِّجلُ حاضرةٌ، وقَولُ الحاضر على غَيره شهادةٌ، وقَولُ الفاعل على نفْسه إقرارٌ بما قال أو فعل وهو أعظمُ أنواع الشَّهادة؛ لذا نجد الآياتِ الأخرى تُبيِّن هذا المفهومَ وتُجلِّيه بذِكرِ شهادةِ جميع الجوارح على العبد بما فعله؛ كقَولِه تعالى: ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النور:٢٤]؛ لأنَّ الكلامَ إقرارٌ فعليٌّ وشهادةٌ ضمنيةٌ كما أنَّ شهادةَ الحاضر -وهي الأَرجُلُ- على العامل تكون نُطقًا، وهي أقوى في جانب الإثبات[٢٠١]، فضلًا

(٢٠٠) ما ذكره ابن عرفة لتقدير نَظْمِ الآية مُتعذِّرٌ، ووجهُ ذلك: أنَّ نظمَ الآيةِ جاء بتقديم لفظ شُهود الأَرجُل على لفظ الأَرجُل هكذا: ﴿وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم﴾، وما ذكره ابنُ عرفة مِن تقديرٍ يقتضي تقديمَ لفظ الأَرجُل على لفظ شهودها. وما أثبتْنا يوافق لفظَ الآية، والمعنى العامُّ غيرُ متضادٍّ بين ما ذكره ابنُ عرفة وما أثبتْناه.

(٢٠١) ينظر: الرازي، «مفاتيح الغيب»، ٢٦: ٣٠٢؛ القرطبي، «الجامعُ لأحكام القرآنِ»، ١٥: ٤٩؛ =

علىٰ أنَّ النُّصوصَ الثَّابتةَ مِن السُّنَّة قد دلَّت علىٰ أنَّ الشَّهادةَ يومئذٍ تكون بالنُّطق والكلام؛ إذ رُوِيَ عن أَنَسِ بنِ مالِكٍ ﷺ أنَّه قال: «كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَضَحِكَ فَقَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟ قَالَ: قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنْ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَىٰ. قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لا أُجِيزُ عَلَىٰ نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي، قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا. قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَىٰ فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي. قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّىٰ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ، قَالَ فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا؛ فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ»[٢٠٢]، وفي بيان ذلك يقول ابنُ عاشور: «والمرادُ بتكلُّم الأيدي تكلُّمُها بالشَّهادة، والمرادُ بشهادة الأَرجُل نُطقُها بالشَّهادة؛ ففي كِلْتا الجُملتَين احتباكٌ. والتَّقديرُ: وتُكلِّمنا أيديهم فتَشهد وتُكلِّمنا أَرجُلُهم فتَشهَد»[٢٠٣]. والله أعلم.

وقد وافَق ابنَ عرفة مِن المفسِّرين في الإشارة لهذا النَّوع البلاغي في الآية البِقاعيُّ[٢٠٤].

= والبقاعي، «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، ١٦: ١٥٦؛ الآلوسي، «روح المعاني»، ١٢: ٤١؛ ريحان، «الاحتباك وأثره في بيان المعنىٰ في كتاب نظم الدُّرر للبقاعيِّ- جمعًا ودراسةً- مِن أوَّل سُورة السَّجدة إلىٰ آخِر القرآن»، ص٢٢٤.

(٢٠٢) الحديثُ صحيح: أخرجه مسلمٌ بلفظه في «صحيحه» كتاب الزُّهد والرَّقائق، ٨: ٢١٦، ح: ٢٩٦٩.

(٢٠٣) ينظر: ابن عاشور، «التَّحرير والتَّنوير»، ٢٣: ٥٠.

(٢٠٤) ينظر: البقاعي، «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، ١٦: ١٥٧.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

سورةُ الزُّمَر

٢٤- قولُه تعالىٰ: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٢٢﴾ [الزمر:٢٢].

قال ابنُ عرفةَ: «إشارةٌ إلىٰ حصول النَّتيجة عن ذلك، وأنَّه نظر فاهتدىٰ. قال: وفي الآية حذفُ التَّقابُل؛ أي فبُشْرىٰ له، ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم﴾، فهُم علىٰ ضلالٍ مِن ربِّهم، وأَسنَد الشَّرحَ إلىٰ الصَّدْر مُبالَغةً وتحضيضًا علىٰ الاتِّصاف بأسباب ذلك»[٢٠٥].

ذَكر ابنُ عرفةَ أنَّ في هذه الآية حذفَ تَقابُلٍ، حيث حَذف مِن شَطْرِ الآية الأول: (فبشرىٰ له) لأنَّ قولَه في شطرِ الآية الثَّاني: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ دلَّ عليه، وحَذف مِن شطرِ الآية الثَّاني: (فهُم علىٰ ضلالٍ مِن ربِّهم) لأنَّ قولَه في شطرِ الآية الأوَّل: ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ دلَّ عليه.

وعلىٰ ذلك يكون نظمُ الآية -بعد تقديرِ وجودِ حذفِ التَّقابُلِ فيها عند ابنِ عرفة- علىٰ النَّحو الآتي:

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ (فبُشْرىٰ له) ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ (فهُم علىٰ ضلالٍ مِن ربِّهم) ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٢٢﴾ [الزمر:٢٢].

ولعلَّ السِّرَّ في نَظْم الآية علىٰ الحذف التَّقابُليِّ هو سِياقُ الآية الذي خَرَج مَخرَجَ المُقارَنة مِن الله ﷻ بين فَريقَين؛ الأوَّلُ منهم مَن شَرَح اللهُ صَدْرَه

(٢٠٥) ابن عرفة، «تفسير الإمام ابن عرفة»، (طبعة دار ابن حزم)، ٤: ٨٩٥.

للإسلام، وهو علىٰ نُورٍ مِن ربِّه، والثَّاني علىٰ ضِدِّه وهُم الذين لم يَشرَحِ اللهُ صُدورَهم للإسلام، فكانت لِقُلوبهم قَساوةٌ فُطروا عليها؛ فلا تَسلُك دَعوةُ الخَير إلىٰ قلوبهم مَسْلَكًا(٢٠٦)؛ فأَضمَر في الأوَّل البُشْرىٰ لهم اكتفاءً بالمذكور وهو النُّور منه ﷺ لشَرَفه وعَظَمتِه؛ لا سيَّما وأنَّ النُّورَ منسُوبٌ له ﷺ؛ فلا بِشارةَ أعظمُ وأفضلُ مِن تلك، فضلًا عمَّا فيه مِن الإشادةِ بمَن شَرح اللهُ صُدورَهم للإسلام، وبيانِ صواب طريقهم بما في طَيَّاته مِن الثَّناء والتَّزكية لهم؛ لذا بينما أضمر لفظَ البُشْرىٰ اعتناءً بالمذكور آثَر ذِكرَ الويل في جانب الفريق الثَّاني؛ لأنَّه أَنكَأ فيهم، وأشدُّ في التَّحذير مِن سُلوكِ مَسْلَكهم والتَّشبُّهِ بأفعالهم؛ ففي لفظِ الويل تقريعٌ شديدٌ ووقعُ ترهيبٍ في النَّفس للتَّنفير منه؛ فلهذه الأسباب ذَكر ما ذَكره وأضمر مُقابِلَه ما أَضمر، مع الإشارة بكُلٍّ مذكورٍ للمحذوف مُقابِلَه. والله أعلم.

وقد وافَق ابنَ عرفة مِن المفسِّرين في الإشارة لهذا النَّوع البلاغي في الآية البِقاعيُّ(٢٠٧).

٢٥-قولُه تعالىٰ: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ٥٤ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٥٥﴾ [الزمر:٥٤-٥٥].

قال ابنُ عرفة: «قيل: لِمَ أسقط البَغْتةَ في الأوَّل؟ فقال: فيه حذفُ التَّقابُل»(٢٠٨).

ذَكر ابنُ عرفةَ أنَّ في هاتَين الآيتَين حذفَ تَقابُلٍ، حيث حَذف مِن الآية

(٢٠٦) ينظر: ابن عاشور، «التَّحرير والتَّنوير»، ٢٣: ٣٨١.

(٢٠٧) ينظر: البقاعيُّ، «نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسور»، ١٦: ٤٨٦.

(٢٠٨) ابن عرفة، «تفسير الإمام ابن عرفة»، (طبعة دار الكتب العلمية)، ٣: ٣٨٠.

معتمدة في معامل أرسيف لعام 2024
DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

الأولىٰ: (بغتةً) لأنَّ قولَه في الآيةِ الثَّانيةِ: ﴿بَغْتَةً﴾ دلَّ عليه، وحَذف مِن الآيةِ الثَّانية: ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾؛ لأنَّ قولَه في الآيةِ الأولىٰ: ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ دلَّ عليه.

وعلىٰ ذلك يكون نظمُ الآيتَين -بعد تقديرِ وجودِ حذفِ التَّقابُلِ فيهما عند ابنِ عرفةَ- علىٰ النَّحوِ الآتي:

﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ (بغتةً) ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝٥٤ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةً وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٥٥﴾ (ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ) [الزمر:٥٤-٥٥].

في هاتَين الآيتَين حذَّر الله ﷻ مِن عذابه، ونبَّه في الآيةِ الأولىٰ إلىٰ أنَّ العذابَ إنْ جاء فلا ناصرَ لهم مِن دُون اللهِ، ونبَّه في الثَّانيةِ إلىٰ أنَّ العذابَ يأتيهم بَغْتةً وفُجاءةً؛ فأظهَر في كلِّ آيةٍ ما أضمَر في الأخرىٰ مِن بابِ الإيجازِ البليغ؛ فإنَّ العذابَ المذكُورَ في الآيةِ الأولىٰ هو العذابُ المذكورُ في الآيةِ الثَّانيةِ بنَوعَيه، وكلُّه يأتي بغتةً إذْ لا يَتقدَّمه إشعارٌ؛ فعذابُ الدنيا يَحُلُّ بغتةً وعذابُ الآخرة كذلك؛ لأنَّه تَظهَر بوارقُه عند البعث، وقد أتاهم عذابُ السَّيف يومَ بدرٍ، ويأتيهم عذابُ الآخرة يومَ البعث(٢٠٩)، وكلُّ عذابِ الله إنْ نَزل فلا ناصرَ ولا كاشفَ له مِن دون الله، وما لهم من ناصرين يَنصُرونهم منه؛ لا ممَّن زَعموا أنَّهم شفعاءُ لهم عند الله، ولا ممَّن اتَّخذوهم أولياءَ مِن دُونه، ولا مِن أصدقائهم وأقربائهم، ولا أنفُسَهم ينصرون(٢١٠).

وقد خَرج النَّظْمُ علىٰ أسلوب حذف التَّقابُل ذاكرًا في كلِّ آيةٍ ما حَذفه مِن الأخرىٰ، مُشيرًا بهذا الذِّكر للحذف مِن بابِ التَّأكيد والتَّكرار علىٰ الأمرَين: انعدامِ النَّصير مع ما فيه مِن بيان قِلَّةِ حِيلتهم وعَجْزِهم، وكَونِ الأخْذِ عَلىٰ

(٢٠٩) ابن عاشور، «التَّحرير والتَّنوير»، ٢٤: ٤٤.

(٢١٠) ينظر: السعدي، «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، ص١٣٢.

غِرَّةٍ، الذي هو أصعبُ على النُّفُوسِ لشِدَّة مُخالَفته لِما هو مُستقِرٌّ فيها وهي مُتوطِّنةٌ عليه مِن ضِدِّه(٢١١)؛ فجاء النَّظْمُ على هذه الحَبْكة مُعرِضًا صَفْحًا عن التَّكرار، مع تحقيقِ غايته مِن التَّأكيد والبيان بهذا الأسلوب البلاغي البديع.

سورةُ فُصِّلت

٢٦- قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾﴾ [فصلت: ١٧].

قال ابنُ عرفة: «هل قابَله بالضَّلال الذي هُو مُقابِلُه؟ قلتُ: هو مِن حذف التَّقابُل فحُذِف مِن الأوَّل لدَلالة الثَّاني عليه، والتَّقديرُ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ وبصَّرناهم ﴿فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ﴾ والضَّلالَ ﴿عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾»(٢١٢).

ذَكر ابنُ عرفةَ أن في هذه الآية حذفَ تَقابُلٍ حيث حَذف مِن شطر الآية الأول: (فبَصَّرناهم)؛ لأنَّ قَولَه في شطرِ الآية الثَّاني: ﴿ٱلْعَمَىٰ﴾ دلَّ عليه، وحَذف مِن شطرِ الآية الثَّاني: (الضَّلال) لأنَّ قَولَه في شطرِ الآية الأوَّل: ﴿فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ دلَّ عليه.

وعلى ذلك يكون نظمُ الآية -بعد تقديرِ وجودِ حذفِ التَّقابُلِ فيها عند ابنِ عرفة- على النَّحو الآتي:

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ (وبصرناهم) ﴿فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ﴾ (والضَّلال) ﴿عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾.

(٢١١) ينظر: البقاعي، «نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسور»، ١٦: ٥٣٧.

(٢١٢) ابن عرفة، «تفسير الإمام ابن عرفة»، (طبعة دار ابن حزم)، ٥: ٥٧.

معتمدة في معامل أرسيف لعام 2024
DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

ولعلَّ السِّرَّ في نَظْمِ الآيةِ علىٰ أسلوبِ حذفِ التَّقابُلِ، هو أنَّ الآيةَ وردتْ في حكايةِ ثَمُودَ وإعراضِهم وتكذيبِهم؛ فآثَرَ ﷻ أنْ يُنسَبَ إليه أشرفُ الأفعالِ وأحبُّها إليه، وهي الهدايةُ[٢١٣]؛ فذَكَرَ هدايتَه لهم بالبيانِ والإرشادِ وإرسالِ الرُّسلِ لكشفِ حُجُبِ الضَّلالِ عنهم؛ إسقاطًا لِمَعذرتِهم، وتِبيانًا لاستحقاقِهم العذابَ الشَّديدَ، وإقامةً للحُجَّةِ عليهم، وحَذفَ الإبصارَ لأنَّه -تعالىٰ- لَمَّا أرسلَ لهم النَّاقةَ آيةً مُبصِرةً -كما في قولِه تعالىٰ: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾ [الإسراء:٥٩]- جَعلَ الإبصارَ للنَّاقةِ؛ لِقوَّةِ دَلالتِها علىٰ الحُجَّةِ[٢١٤]، فكذَّبوا بها وعَقَروها فكانوا بمنزلةِ مَن لا يُبصِرُ شيئًا لِشِدَّةِ عَماه؛ فحَذَفَ الإبصارَ لأنَّه لم يَتحصَّلْ لهم مِن أيِّ وجهٍ، وذكرَ العَمَىٰ ثانيًا لأنَّه أنكَأُ عليهم وأشدُّ في تحقيرِهم وتبكيتِهم؛ فهُم لِشِدَّةِ عَماهم عن الحقِّ أُنزِلوا منزلةَ الأعمىٰ الذي لا يهتدي سبيلًا ولا يَسلُكُ طريقًا؛ إظهارًا لسُوءِ اختيارِهم ورَداءةِ استحبابِهم حين استَحبُّوا العمىٰ رغمَ تبصيرِ الله لهم وهِدايتِهم. والله أعلم.

وقد وافقَ ابنَ عرفةَ مِن المفسِّرين في الإشارةِ لهذا النَّوعِ البلاغيِّ في الآيةِ البِقاعيُّ[٢١٥].

سورةُ القيامةِ

٢٧- قولُه تعالىٰ: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ۝٢١﴾ [القيامة: ٢٠-٢١].

قال ابنُ عرفة: «فإنْ قُلتَ: ما ضِدُّ المَحبَّةِ إلَّا الكراهةُ، وما ضِدُّ التَّركِ إلَّا الفعلُ.

(٢١٣) ينظر: البقاعي، «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، ١٧: ١٦٧.

(٢١٤) أبو السعود، «إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم»، ٥: ١٨١.

(٢١٥) ينظر: البقاعي، «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، ١٧: ١٦٧.

فالجوابُ: أنَّه مِن حذف التَّقابُل؛ أي تُحِبُّون العاجلةَ وتُقبِلون عليها، وتكرَهون الآخِرةَ وتَذَرُونها»[٢١٦].

ذَكر ابنُ عرفةَ أنَّ في هاتَين الآيتَين حذفَ تَقابُلٍ، حيث حَذف مِن الآية الأولىٰ: (وتُقبِلون عليها)؛ لأنَّ قولَه في الآية الثَّانية: ﴿وَتَذَرُونَ﴾ دلَّ عليه، وحَذف مِن الآية الثَّانية: (وتكرَهون)؛ لأنَّ قولَه في الآية الأولىٰ: ﴿تُحِبُّونَ﴾ دلَّ عليه.

وعلىٰ ذلك يكون نظمُ الآيتَين -بعد تقديرِ وجودِ حذفِ التَّقابُلِ فيهما عند ابنِ عرفةَ- علىٰ النَّحو الآتي:

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾﴾ (وتُقبِلون عليها) ﴿وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾ (وتكرَهونها) [٢١٧][القيامة:٢٠-٢١].

في هاتين الآيتَين الكريمتَين بيَّن اللهُ ﷻ بمُجمَل ما حَواه النَّظمُ -حالَ حَمْلِه علىٰ حذف التَّقابُل- حالَ الإنسانِ السَّابقِ ذِكرُه في السُّورة، وهو المُنكِرُ البعثَ، وأنَّ همَّه إنَّما هو في تحصيل حُطام الدَّنيا الفانية، التي يُحبُّها ويُقبِل عليها لا في تحصيل ثواب الآخِرة؛ إذْ هو مُنكِرٌ ذلك، مُدبِرٌ عن الآخِرة كارهٌ لها[٢١٨]، ولعلَّ النَّظمَ خرج علىٰ إظهار المحبَّة في العاجِلة؛ للإشارة إلىٰ أنَّ المَحبَّة هي عِلَّةُ انكبابهم عليها دُونما تفكيرٍ في عواقبِ ذلك؛ بدليل أنَّهم يُقبِلون غايةَ الإقبال عليها فيأخذونها، وحُبُّها أَوجَب لهم ارتكابَ ما يَعلَمون قُبْحَه؛ فأَظهَر

---

(٢١٦) ابن عرفة، «تفسير الإمام ابن عرفة»، (طبعة دار الكتب العلمية)، ٤: ٣٢٤.

(٢١٧) ما ذكره ابنُ عرفةَ لتقدير نَظْمِ الآية مُتعذِّرٌ؛ ووجهُ ذلك: أنَّ نظم الآية جاء بتقديم لفظ (تَذَرُون) علىٰ لفظ (الآخرة) هكذا: ﴿وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾، وما ذكره ابنُ عرفة من تقدير يقتضي تقديمَ لفظِ (تَذَرُون) علىٰ لفظ (الآخِرة). وما أثبتناه يوافق لفظَ الآية، والمعنىٰ العامُّ غيرُ متضادٍّ بين ما ذكره ابنُ عرفة وما أثبتْناه.

(٢١٨) ينظر: أبو حيان، «البحر المحيط في التفسير»، ١٠: ٣٥٠.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

الـمَحبَّةَ في جانب الدُّنيا؛ للتَّنبيه علىٰ أنَّه سببُ إقبالهم عليها، فإنَّ حُبَّ الشَّيء يُعمِي ويُصِمُّ، وأشار بهذا الذِّكر للإضمار في الآية الثانية؛ لأنَّه مِن المعلوم أنَّ من الإفراطِ في حبِّ الدُّنيا ما يُبعِد عن الآخِرة؛ فإنَّ الآخرةَ والأولىٰ ضُرَّتان؛ مَن أَحبَّ إحداهما فَعل -ولا بُدَّ- ما يُباعده عن الأخرىٰ[٢١٩]، ولعلَّه أَظهَرَ في الثَّانية أنَّهم يَذَرون الآخِرةَ؛ لبيانِ أنَّ مَناطَ التَّوبيخ هو حُبِّ العاجِلة المُقترِنُ بنَبْذِ الآخِرة، أمَّا مَن أَحبَّ العاجِلَة وراعَىٰ مع مُحبَّتِه لها الآخِرةَ -أي جَرىٰ علىٰ الأمرِ والنَّهيِ الشَّرعيَّين- فلم يكن مَذمُومًا[٢٢٠]؛ فلعلَّه لهذه الأسبابِ وغَيرِها خَرج النَّظْمُ علىٰ هذه الطَّريقة البليغة المُعجِزة.

سورةُ الجنِّ

٢٨-قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ [الجن:١٤-١٥].

قال ابنُ عرفة: «يحتمل أنْ تكونَ الآيةُ مِن حذف التَّقابُل؛ أي ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾﴾ وكانوا مُنعَّمِين في الجنَّة، ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ فأولئك أساؤوا وأَجرَموا ﴿فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾»[٢٢١].

ذَكر ابنُ عرفةَ أنَّ في هاتين الآيتَين حذفَ تَقابُل، حيث حذف مِن الآية الأولىٰ: (وكانوا مُنعَّمِين في الجنَّة)؛ لأنَّ قولَه في الآيةِ الثَّانية: ﴿فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ

(٢١٩) ينظر: البقاعي، «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، ٢١: ١٠٣.

(٢٢٠) ينظر: ابن عاشور، «التَّحرير والتَّنوير»، ٢٩: ٣٥١.

(٢٢١) ابن عرفة، «تفسير الإمام ابن عرفة»، (طبعة دار ابن حزم)، ٥: ٥٣٩.

﴿حَطَبًا﴾ دلَّ عليه، وحَذف من الآية الثَّانية: (فأولئك أَساؤوا وأَجرَموا)؛ لأنَّ قولَه في الآية الأولىٰ: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا﴾ دلَّ عليه.

وعلىٰ ذلك يكون نظمُ الآيتَين -بعد تقديرِ وجودِ حذفِ التَّقابُل فيهما عند ابنِ عرفةَ- علىٰ النَّحو الآتي:

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا﴾ (وكانوا مُنعَّمين في الجنَّة) ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ (فأولئك أساءوا وأجرموا) ﴿فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۝١٥﴾ [الجن:١٤-١٥].

ولعلَّ السِّرَّ في حَملِ النَّظْم علىٰ الحذف التَّقابُلي أنَّ الآياتِ وردتْ في سِياق التَّرغيب والتَّحضيض علىٰ الاستجابة للدَّعوة المُحمَّدية؛ فآثَر ذِكرَ «تَحرِّي الرَّشَدِ»؛ لأنَّه أَعْونُ في التَّحريض علىٰ الامتثال والإذعان، وأرفقُ في استمالةِ قلوبهم للإيمان، وحثِّهم علىٰ تَوَخِّي سببِ النَّجاة وما يَحصُل به الثَّوابُ؛ لأنَّ الرَّشَدَ سببُ ذلك[٢٢٢]، وعلىٰ الجانب الآخَر حَذف الجزاءَ لَمَّا عَلم أنَّ مِن صِفات عدله وكرمه ورحمته أنَّه لا يُضيع أجرَ المحسنين عملًا، بلْ يضاعف لِمَن يشاء مِن واسع فضله، وهُم قد آمَنوا بتلك العدالة الإلهية وصارتْ عندهم مشهودةً كالعِيان لما آمَنوا به ﷻ؛ لذا جاء في حكاية قَولِ بعضهم لبعضٍ ما يدلُّ علىٰ ذلك في قَولِه تعالىٰ: ﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ [الجن:١٣]؛ أي: مَن صدَّق بوَحْدانيَّة ربِّه ﷻ ﴿فَلَا يَخَافُ بَخْسًا﴾ يعني: نُقْصانًا مِن ثواب عمله، ﴿وَلَا رَهَقًا﴾ يعني ذَهابَ عمله؛ فأَظهر في جانب هذا الفريقِ السَّببَ المُؤدِّي للنَّعيم مدحًا له واعتناءً به وثناءً علىٰ عمله وتنويهًا بشأنه، وأضمر المآلَ؛ تفخيمًا لشأنه وثقةً بعِلمه بصفاته بعد إيمانه؛ لأنَّ اللهَ ﷻ عدلٌ،

(٢٢٢) ينظر: ابن عاشور، «التَّحرير والتَّنوير»، ٢٩: ٢٣٦.

معتمدة في معامل أرسيف لعام 2024
DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

فكما يُعاقِب القاسطَ يُثيب الرَّاشدَ[٢٢٣]، ثمَّ آثَر ذِكرَ المآلِ والمصير والعاقبة في الجانب الآخَر -وهو جَهنَّمُ- تهويلًا له وتحذيرًا منه؛ إذْ شبَّه خُلودهَم في جَهنَّمَ بحُلولِ الحطبِ في النَّار علىٰ طريقة التَّمليح والتَّحقير؛ أي هُم لجَهلِهم كالحَطَب الذي لا يَعقِل[٢٢٤]، وأَضمَر السَّببَ -وهو الإساءةُ والإجرام؛ تحقيرًا لهم وتشنيعًا لصَنيعهم، واكتفاءً بوَسْمِهم بالقاسطين الذي يدلُّ علىٰ الجَوْر والعُدول عن الحقِّ والصَّوابِ[٢٢٥]، وبما دَلَّتْ عليه الإشارةُ بذِكرِ فريقِ الذين تَحرَّوْا رَشَدًا؛ فلعلَّه لهذه الأسبابِ ولغَيرِها أضمر ما أضمر وأظهر مُقابِلَه ما أظهر، مع إشارته بكلِّ مذكورٍ للمحذوف مُقابِلَه في حَبْكةٍ مُعجِزة مُتقَنة[٢٢٦].

سورةُ الإنسانِ

٢٩-قولُه تعالىٰ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان:٣].

قال ابنُ عرفة: «فيه سؤالٌ؛ وهو ما السِّرُّ في العُدول عن صريح المُقابَلة، فيقال: إمَّا شاكرًا وإمَّا كافرًا، أو يقال: إمَّا شَكُورا وإمَّا كَفُورًا»[٢٢٧].

---

(٢٢٣) ينظر: الآلوسي، «روح المعاني»، ١٥: ١٠٠.

(٢٢٤) ينظر: ابن عاشور، «التَّحرير والتَّنوير»، ٢٩: ٢٣٧.

(٢٢٥) ينظر: محمد بن أحمد الأزهري الهروي، «تهذيب اللغة»، تحقيق: محمد عوض مرعب، (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م)، ٨: ٢٩٨؛ والجوهري، «الصَّحاح تاج اللُّغة»، ٣: ١١٥٢؛ وابن فارس، «مقاييس اللغة»، ٥: ٨٥.

(٢٢٦) ينظر: ريحان، «الاحتباك وأثره في بيان المعنىٰ في كتاب نَظْم الدُّرر للبقاعي- جمعًا ودراسةً- مِن أوَّل سُورة السَّجدة إلىٰ آخر القرآن»، ص٦٥٧.

(٢٢٧) تفسير القرآن الكريم؛ لابن عرفة، (طبعة دار ابن حزم)، ٥: ٥٦٠. ذكر محقِّقُ نسخة ابن حزم هذا الكلامَ في الهامش وصدَّره بقَوله: «ذكر البَسِيليُّ هنا نصَّ السؤال الذي أُجيب عنه، والذي سقط مِن جميع نُسخ الأبي». ينظر المرجع السَّابق.

«**والجوابُ**: أنَّه مِن حذفِ التَّقابُل؛ حَذف (شَكُورًا) لدلالة ﴿كَفُورًا﴾ عليه، وحذف (كافرًا) لدلالة ﴿شَاكِرًا﴾»(٢٢٨).

ذَكر ابنُ عرفةَ أنَّ في هذه الآية حذفَ تَقابُل، حيث حَذَف مِن شطرِ الآية الأول: (شَكُورًا)؛ لأنَّ قولَه في شطرِ الآية الثَّاني: ﴿كَفُورًا﴾ دلَّ عليه، وحَذف مِن شطرِ الآية الثَّاني: (كافرًا)؛ لأنَّ قولَه في شطرِ الآية الأوَّل: ﴿شَاكِرًا﴾ دلَّ عليه.

وعلىٰ ذلك يكون نظمُ الآية -بعد تقديرِ وجودِ حذفِ التَّقابُلِ فيها عند ابنِ عرفة- علىٰ النَّحو الآتي:

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا﴾ (شَكُورًا) ﴿وَإِمَّا﴾ (كافرًا) ﴿كَفُورًا﴾ [الإنسان:٣].

في هذه الآية الكريمة بيَّن اللهُ ﷻ -علىٰ تقدير بناءِ نَظم الآية علىٰ حذف التَّقابُل- أنَّ الإنسانَ إمَّا أن يكون شاكرًا شَكُورًا أو كافرًا كفورًا، ولَمَّا كان الإنسانُ -لِما ناله مِن النُّقْصانِ- لا يَنفَكُّ غالبًا عن كُفرٍ ما أتىٰ بصيغة المُبالَغة تنبيهًا له علىٰ ذلك، مُعرِّفًا له أنَّه لا يَأخُذه إلَّا بالتَّوغُّل فيه؛ ليَعرِفَ نِعمةَ الحِلم عنه؛ فيَحمِلَه الخجل علىٰ الإقبال علىٰ مَن يرضىٰ منه بقليل الشُّكر؛ فجاء بلفظِ ﴿شَاكِرًا﴾ لا (شَكُورًا) الدَّالِّ علىٰ المُبالَغة؛ فلهذه العِلَّة أَظهَر في جانب الكُفر صِيغةَ المُبالَغة وأضمر مُقابلَها في جانب الشُّكر، مُظهِرًا شاكرا ﴿شَاكِرًا﴾ مع الإشارة للمحذوف بالمذكور. ويحتمل أنْ يُفهَمَ مِن سِّر هذه الحذف والذِّكر أنَّ مَن كَفر نِعمةً واحدةً فقد كَفر الجميعَ فصار بليغَ الكُفر؛ فقال: ﴿وَإِمَّا كَفُورًا﴾ أي بليغَ الكُفر بالإعراضِ والتَّكذيب وعبادة الغَير والمُعانَدة؛ فإحْسانُه غيرُ مُوفٍ إساءتَه المُفرِطة؛ فأَظهر الكَفُورَ بصيغة المُبالَغة دون الشُّكر للتَّنبيه

(٢٢٨) تفسير القرآن الكريم؛ لابن عرفة، (طبعة دار ابن حزم)، ٥: ٥٦٠.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

علىٰ ذلك[٢٢٩]. ويُحتمل أيضًا وجهٌ ثالثٌ لسرِّ هذا الحذف والذِّكر؛ وهو أنَّ «إيرادَ الكَفُورِ بصيغةِ المُبالَغة لِمُراعاة الفواصل والإشعارِ بأنَّ الإنسان قلَّما يخلُو مِن كُفْرانٍ ما، وإنَّما المُؤاخَذُ عليه الكفرُ المُفرَط»[٢٣٠]. ووجهٌ أخيرٌ هو أنَّه «لَمَّا كان الشُّكرُ قَلَّ مَن يتَّصف به قال ﴿شَاكِرًا﴾، ولَمَّا كان الكفرُ كَثُر مَن يتَّصف به ويَكثُر وُقوعُه مِن الإنسان -بخِلاف الشُّكر- جاء ﴿كَفُورًا﴾ بصيغة المُبالَغة»[٢٣١]؛ فأَظهَر في كلِّ جانبٍ مِن جانِبَي الشُّكر والكُفر ما أظهر وأضمر ما أضمر لهذه الأسرار البلاغية وغيرها؛ ليُبرهِنَ علىٰ إعجاز النَّظْم وجدارته بالتَّدبُّر والتَّأمُّل لأنَّه مِن لَدُنْ حكيمٍ عزيز.

سورةُ الانفطارِ

٣٠-قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار:١٣-١٤].

قال ابنُ عرفة: «في الآية حذف التَّقابُل؛ لأنَّه ذَكر في القِسم الأول ما يَحصُل لهم دون مَحلِّه، وفي القِسم الثَّاني العكسَ»[٢٣٢].

ذَكر ابنُ عرفةَ أن في هاتَين الآيتَين حذفَ تَقابُل، حيث حَذف مِن الآية الأولىٰ: (الجنَّة)؛ لأنَّ قولَه في الآية الثَّانية: ﴿جَحِيمٍ﴾ دلَّ عليه، وحَذف مِن الآية الثَّانية: (عذاب)؛ لأنَّ قولَه في الآية الأولىٰ: ﴿نَعِيمٍ﴾ دلَّ عليه.

---

(٢٢٩) ينظر: البقاعي، «نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسور»، ٢١: ١٣٣-١٣٤.

(٢٣٠) الآلوسي، «روح المعاني»، ١٥: ١٦٩.

(٢٣١) أبو حيان، «البحر المحيط في التفسير»، ١٠: ٣٦٠.

(٢٣٢) ابن عرفة، «تفسير الإمام ابن عرفة»، (طبعة دار الكتب العلمية)، ٤: ٣٣٢؛ وينظر: ابن عرفة، «تفسير الإمام ابن عرفة»، (طبعة دار ابن حزم)، ٥: ٥٧٤.

وعلىٰ ذلك يكون نظمُ الآيتَين -بعد تقديرِ وجودِ حذفِ التَّقابُلِ فيهما عند ابنِ عرفةَ- علىٰ النَّحو الآتي:

﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ١٣﴾ (في الجنَّة) ﴿وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي﴾ (عذابٍ في الـ) ﴿جَحِيمٖ ١٤﴾ [الانفطار:١٣-١٤].

في هاتَين الآيتَين بيَّن اللهُ ﷻ- علىٰ تقديرِ بناء نظم الآية علىٰ حذف التَّقابُل- «أنَّ الذين بَرُّوا بأداء فرائض الله واجتنابِ معاصيه لفي نَعيمِ الجِنان يُنعَّمون فيها»[٢٣٣]، وأنَّ الفُجَّارَ علىٰ عكس ذلك، فهُم في عذاب الجحيم «أي: عذابٍ أليم في دار الدُّنيا ودار البرزخ وفي دار القَرار»[٢٣٤]. أمَّا ذِكرُ النَّعيم وإظهارُه في جانب الأبرار؛ فلأنَّه لفظٌ واسع يَعُمُّ نعيمَ القلب ونعيمَ البدن، ويحصُل لأهل الإيمان في الدُّنيا وفي الآخِرة؛ أمَّا في الآخرة فالجَنَّةُ، وأمَّا في الدُّنيا فنعيمُ القلب وطُمأنينته ورضاه بقضاء الله وقَدَره[٢٣٥]، وأمَّا ذِكرُ الجحيم وإظهاره في جانب الفجَّار دون العذاب فهو ما جاء في الإشارة بعدُ في قَولِه: ﴿يَصۡلَوۡنَهَا يَوۡمَ ٱلدِّينِ ١٥﴾ [الانفطار:١٥] فهو صِفةٌ لـ ﴿جَحِيمٖ﴾، مُستأنَفةً جوابُ سؤالٍ مُقدَّرٍ؛ كأنَّه قيل: ما حالُهم؟ فقِيلَ: ﴿يَصۡلَوۡنَهَا يَوۡمَ ٱلدِّينِ ١٥﴾ ومعنىٰ ﴿يَصۡلَوۡنَهَا﴾: أنَّهم يَلزَمونها مُقاسِين وَهَجِها وحَرِّها يومئذٍ؛ ففيه بيانٌ لعذابهم بما أغنىٰ عن ذِكره في الآيةِ محلِّ الشَّاهد مع وجود إشارةٍ له بذِكره في جانب أهل النَّعيم والإشارة إليه[٢٣٦]؛ فأظهَر ما أظهره وأضمر ما أضمره مُقابِلَه، وأشار لكلِّ محذوفٍ

---

(٢٣٣) الطبري، «جامع البيان»، ٢٤: ١٨٢.

(٢٣٤) السعدي، «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، ص٩١٤.

(٢٣٥) ينظر: محمد بن صالح العثيمين، «تفسير جزء عمَّ»، تحقيق: فهد بن ناصر السليمان، (ط٢، الرياض: دار الثريا للنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م)، ص٩١.

(٢٣٦) ينظر: الشوكاني، «فتح القدير»، ٥: ٤٨٠.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

بمذكور مُقابِلَه؛ ليَأتيَ نَظْمُ الآية قويًّا مُوجَزًا بليغًا، مع ما في تنكيرِ النَّعيم وتنكيرِ الجحيم المذكُورَين والمشار إليهما بالمحذُوفَين مُقابِلهما مِن التَّفخيم والتَّهويل ما لا يَخْفىٰ(٢٣٧).

سورةُ الانشقاقِ

٣١- قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢﴾ [الانشقاق:٧-١٢].

قال ابنُ عرفة: «عندي في الآية حذفُ التَّقابُل؛ أي: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩﴾ ويُجزَىٰ جَنَّةً وحريرًا، (وأمَّا من أوتي كتابه بشِماله فسوف(٢٣٨) يُحاسَب حسابًا عسيرًا) و﴿يَدْعُواْ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢﴾. قال: والظَّاهرُ أنَّ التَّسميةَ حاصرةٌ»(٢٣٩).

ذَكر ابنُ عرفةَ أن في هذه الآيات حذفَ تَقابُلٍ، حيث حَذف مِن الآية الثَّانية: (ويُجزَىٰ جنَّةً وحريرًا)؛ لأنَّ قولَه في الآية الخامسة: ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢﴾ دلَّ عليه، وحَذف مِن الآية الرَّابعة: (فسَوف يُحاسَب حسابًا عسيرا)؛ لأنَّ قولَه في الآية الأولىٰ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ دلَّ عليه.

---

(٢٣٧) ينظر: أبو السعود، «إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم»، ٩: ١٢٢.

(٢٣٨) كذا في ابن عرفة، «تفسير الإمام ابن عرفة»، (طبعة دار ابن حزم)، ٥: ٥٧٦، والذي في سورة الانشقاق: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠﴾، ولعلَّ هناك تحريفًا في الأصل أو تصحيفًا في النقل.

(٢٣٩) ابن عرفة، «تفسير الإمام ابن عرفة»، (طبعة دار ابن حزم)، ٥: ٥٧٦.

وعلىٰ ذلك يكون نظمُ الآيات -بعد تقديرِ وجودِ حذفِ التَّقابُلِ فيها عند ابنِ عرفةَ- علىٰ النَّحو الآتي:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩﴾ (ويُجزىٰ جَنَّةً وحريرًا) ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ﴾ (فسَوف يُحاسَب حسابًا عسيرًا و) ﴿يَدْعُواْ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢﴾ [الانشقاق:٧-١٢].

ولعلَّ السِّرَّ في الحذف والذِّكر في هذه الآيات هو بيانُ حال الفَريقَين ومآلهم في ذاك اليوم ذي الأهوال الشِّداد في حَبْكةٍ بديعةٍ حَوَتِ المعاني الوفيرةَ في الألْفاظ القليلة، مُظهِرةً يُسْرَ حساب المؤمن؛ ليكونَ عاجلَ بُشْراه، حاثًّا علىٰ الاجتهاد والعمل، ومُضمِرةً بهذا الذِّكر عُسْرَ حسابِ غيرهم، ومُظهِرةً في جانب الكافر مآلَه ومرجعَه؛ ليكون أنكىٰ فيه وأشدَّ وقعًا عليه بما يوجب الحذرَ عليه ويَقرَع مَسامِعَه مُنذِرًا بسُوء مآله، ومُضمِرًا بهذا الذِّكر جزاءَ المؤمن ونعيمَه؛ فذَكر في كلِّ آية ما حذفه مِن الأخرىٰ مُخرِجًا النَّظْمَ في مرتبةٍ عالية مِن البلاغة تستدعي الفِكرَ للتَّأمُّل والتَّفكُّر.

سورةُ القارعة

٣٢- قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ [القارعة:٦-٩].

قال ابنُ عرفة: «والآيةُ عندي مِن حذف التَّقابُل؛ أي ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧﴾ ومرتبةٍ عاليةٍ، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨﴾ فهو في عِيشةٍ كارهةٍ وأمُّه هاويةٌ»(٢٤٠).

(٢٤٠) ابن عرفة، «تفسير الإمام ابن عرفة»، (طبعة دار ابن حزم)، ٥: ٦٤٢.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

ذَكر ابنُ عرفةَ أنَّ في هذه الآيات حذفَ تَقابُل، حيث حَذف مِن الآية الأولىٰ: (ومرتبةٍ عالية) لأنَّ قولَه في الآية الثالثة: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ دلَّ عليه، وحَذف مِن الآية الثَّانية: (فهو في عيشة كارهة)؛ لأنَّ قولَه في الآية الأولىٰ: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ دلَّ عليه.

وعلىٰ ذلك يكون نظمُ الآيات -بعد تقديرِ وجودِ حذفِ التَّقابُلِ فيها عند ابنِ عرفة- علىٰ النَّحو الآتي:

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧﴾ (ومرتبة عالية) ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨﴾ (فهو في عِيشةٍ كارهة) ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ [القارعة:٦-٩].

في هذه الآيات الكريمة تفصيلٌ لِما في قَولِه: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤﴾ [القارعة:٤] مِن إجمال حالِ النَّاس حينئذٍ، وبيانِ أنَّهم في حالٍ مِن حالَين: حالٍ حَسنٍ وحالٍ فظيع؛ أمَّا مَن كان في الحال الحسن فهو في عِيشةٍ راضية عالية «لأنَّ أُمَّه جنَّةٌ عالية»[٢٤١]، وأمَّا من كان في الحال الفظيع، فهو في عِيشةٍ كارهة هاوية؛ لأنَّ أُمَّه هاويةٌ[٢٤٢]. وقد جاء هذا التَّفصيلُ في الآيات الكريمة علىٰ أسلوب حذف التَّقابُل؛ وذلك بذِكر بعضه وإظهاره وإضمارِ البعضِ الآخَر والإشارةِ إليه بالمذكور؛ ليكونَ النَّظْمُ مُوجَزًا حاويًا المعنىٰ وافيًا بإيصاله، مُستَدعِيًا العقلَ للتَّأمُّل والفَهْم.

ولعلَّ سِرَّ إظهار الرِّضىٰ تعجيلُ البُشْرىٰ لأهل الحال الحسن، الذين ثَقُلَتْ موازينُهم بما فيه مِن استهواءٍ للنَّفس للوصول للعَيشِ الرَّضيِّ، وحثٍّ لها علىٰ العمل الصَّالح، وفي المقابل إظهارُ الأمِّ الهاويةِ؛ لتخويفِ أهل الحال الفظيعة،

(٢٤١) البقاعي، «نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسور»، ٢٢: ٢٢٣.

(٢٤٢) ينظر: ابن عاشور، «التَّحرير والتَّنوير»، ٣٠: ٥١٣.

الذين خفَّتْ موازينُهم وتحذيرِهم وتنبيههم ببيان سُوءِ المآل وفظاعةِ المُنقلَب بما يستدعي التَّعجيلَ بالتَّوبة وتَدارُكَ النَّفْس أنْ تكونَ مِن هذا الفريق؛ فخرج النَّظْمُ في هذه الحَبْكة البديعة مُعجِزًا مُوجَزًا وافيًا، مُبرهِنًا علىٰ عَظَمة صاحبه سبحانه.

وقد وافق ابنَ عرفة من المفسِّرين في الإشارة لهذا النَّوع البلاغيِّ في الآية البِقاعيُّ(٢٤٣).

(٢٤٣) ينظر: البقاعي، «نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسور»، ٢٢: ٢٢٣.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

الخَاتِمَةُ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، الحمدُ لله؛ ما تم جُهدٌ ولا خُتم سعيٌ إلَّا بتوفيقه وكرمه.

وبعدُ..

ففي ختام هذا البحثِ المعنيِّ بأحد الفنون البلاغية والأساليب القرآنية البديعة، وهو فنُّ حذف التَّقابُل نُسجِّل ها هنا بعضَ النَّتائج والتَّوصيات.

◆ أبرزُ نتائجِ البحثِ:

أولًا: يُعَدُّ ابنُ عرفةَ مِن أبرز مُفسِّري القرن التَّاسع الهجري، وقد أمضىٰ حياتَه في العِلم وللعلم؛ فهو عالِمٌ جليلُ القَدْر، له سِيرةٌ عطرة في كتب التَّاريخ، وترك خلْفه آثارًا شاهدةً علىٰ عِلمه؛ فله الكثيرُ مِن المؤلَّفات العلمية القيِّمة.

ثانيا: يُعَدُّ ابن عرفة من المفسِّرين الذين اعتَنَوْا بهذا الفنِّ البلاغي، وقد تميَّز عن باقي المفسِّرين بتسمية هذا الفنِّ في تفسيره بحذف التَّقابُل؛ فبينما تجده عند شواهد هذا الفنِّ يصرِّح بهذا الاسم نصًّا، تجد جُلَّ المفسِّرين في تفاسيرهم يسمونه بـ(الاحتباك).

ثالثًا: يُعَدُّ ابنُ عرفة مِن أوائل المفسِّرين، الذي أشاروا لهذا الأسلوب البلاغيِّ باسْمه فنًّا مُستقلًّا، وأوردوا له شواهدَ مُتعددةً من القرآن الكريم.

رابعًا: تَتباين منهجيةُ ابن عرفة في إيراده شواهد (حذفِ التَّقابُل) بين إيجازٍ وإطناب وتفصيل وإجمالٍ؛ ولعلَّ ذلك يعود لكَون تفسيرِه تَقييداتٍ قيَّدها تلامذتُه عنه؛ فلعلَّ كلَّ شاهد كان له مَقامٌ وحالٌ يختلف عن الآخَر، ولعلَّ بعضَها كان جوابًا عن أسئلة طلبته؛ فلعلَّ حالَ السَّائل أيضًا -بين مُفصِّل

ومختصِر- كان مِن أسباب تبايُن أسلوب ابن عرفة في شواهد (حذف التَّقابُل).

خامسًا: بعضُ شواهد حذفِ التَّقابُلِ عند ابن عرفة يوافقه فيها غيرُه مِن المفسِّرين ويَحمِلونها علىٰ الفنِّ البلاغي نَفْسه، والبعضُ الآخر يتفرد به تقريبًا بحسَب بحثنا.

أبرزُ توصياتِ البحثِ:

أولًا: العنايةُ بآثار ابنِ عرفةَ المخطوطة، وإخراجُها للنُّور وتحقيقها تحقيقًا علميًّا رصينًا مُتقَنًا.

ثانيًا: العنايةُ بتفسير ابن عرفة؛ فهو تفسيرٌ لعالمٍ جليلِ القَدْر عظيمِ المكانة، والمتأمِّلُ فيه يجده يحوي الكثيرَ مِن العلوم والمسائل الجديرة بالبحث والعناية، وقد طُبع مؤخرًا طبعةً جيِّدةً هي طبعةُ دار ابن حزم التي اعتُمدتْ في هذا البحث.

ثالثًا: دراسة حذف التَّقابُل عند المفسِّرين؛ فهو أسلوبٌ بلاغيٌّ قَيِّم، جديرٌ بالدِّراسة وتسليط الضَّوء عليه؛ فهو مِن الأدلَّة الكثيرة المُبرهِنة علىٰ إعجازِ القرآنِ، ومِن أمثلةِ هؤلاءِ المفسِّرين المعنيِّين به -علىٰ سبيلِ المثالِ لا الحصرِ- الآلُوسيُّ، وهو يُسمِّيه (الاحتباك)، وعنده نحوُ: (٣٥) شاهدًا بحسَب البحثِ السَّريع الأوَّلي.

واللهُ وليُّ التَّوفيق، وعليه الاعتمادُ، وما كان مِن صوابٍ فمنه وحْده، وبلُطْفه وتوفيقه وحْدهوصلَّىٰ اللهُ وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمدٍ.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

ثَبَتُ المَصَادِرِ وَالمَرَاجِعِ

- أبو حيان، محمد بن يوسف. «***البحر المحيط في التَّفسير***». تحقيق: صدقي محمد جميل. (د.ط، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ).
- أبو السعود، محمد بن محمد. «***إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم***». (د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت).
- أبو عبيد، القاسم بن سلام. «***غريب الحديث***». تحقيق: حسين محمد شرف. (ط١، القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م).
- ابن أبي الصفاء، زين الدين عبد الباسط. «***نيل الأمل في ذيل الدول***». تحقيق: عمر عبد السلام تدْمُريّ، (ط١، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م).
- الألوسي، محمود بن عبد الله. «***روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني***». تحقيق: علي عبد الباري عطية. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ).
- الباحث، عضو ملتقىٰ أهل الحديث. «***الوفيات والأحداث***». (د.ط، د.م، د.ن، ١٤٣١هـ).
- البخاري، محمد بن إسماعيل. «***صحيح البخاري***». تحقيق: محمد زهير. (ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ).
- البسيلي، أبو العباس التونسيّ. «***نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد***». تحقيق: محمد الطبراني. (ط١، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م).
- البسيلي، أحمد بن محمد. «***التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد***». (د.ط، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، د.ت).
- البغدادي، عبد القادر بن عمر. «***خزانة الأدب ولبُّ لُباب لسان العرب***». تحقيق: عبدالسلام محمد هارون. (ط٤، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٨ هـ-١٩٩٧م).
- البغوي، الحسين بن مسعود. «***معالم التنزيل في تفسير القرآن***». تحقيق: محمد عبد الله النمر -عثمان جمعة ضميرية- سليمان مسلم الحرش. (ط٤، د.م: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).

- البقاعيُّ، إبراهيم بن عمر. «***نظم الدُّرر في تناسبِ الآياتِ والسُّور***». (د.ط، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ت).
- ابن البناء، أحمد بن محمد. «***الرَّوضُ المُريع في صناعة البديع***». تحقيق: محمد عبد الوارث. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٣م).
- البيضاوي، عبد الله بن عمر. «***أنوار التنزيل وأسرار التأويل***». تحقيق: محمد عبدالرحمن المرعشلي. (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ).
- ابن تغْري بردي، يوسف بن عبد الله. «***النجوم الزَّاهرة في ملوك مصر والقاهرة***». (د.ط، مصر: دار الكتب، د.ت).
- التنبكتي، أحمد بابا بن أحمد «***نيل الابتهاج بتطريز الدِيباج***». تحقيق: عبد الحميد عبد الله الهرامة. (ط٢، طرابلس - ليبيا: دار الكاتب، ٢٠٠٠م).
- الثعلبي، أحمد بن إبراهيم. «***الكشف والبيان عن تفسير القرآن***». تحقيق: عدد من الباحثين (ط١، جدة: دار التفسير، ١٤٣٦ه - ٢٠١٥م).
- الجُرجاني، علي بن محمد. «***التعريفات***». تحقيق: جماعة من العلماء. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م).
- ابن جزي، محمد بن أحمد. «***التسهيل لعلوم التَّنزيل***». تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي. (ط١، بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ١٤١٦هـ).
- الجناجي، حسن بن إسماعيل. «***النَّظْم البلاغي بين النَّظرية والتَّطبيق***». (ط١، القاهرة: دار الطباعة المحمدية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي. «***تذكرة الأريب في تفسير الغريب (غريب القرآن الكريم)***». تحقيق: طارق فتحي السيد. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م).
- الجوهري، إسماعيل بن حماد. «***الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية***». تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. (ط٤، بيروت: دار العلم للملايين).
- حاجي خليفة، مصطفىٰ بن عبد الله. «***سلم الوصول إلىٰ طبقات الفحول***». تحقيق: محمود عبدالقادر الأرناؤوط. (د.ط، إسطنبول - تركيا: مكتبة إرسيكا، ٢٠١٠م).

معتمدة في معامل أرسيف لعام 2024
DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. «***الدُّرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة***». (ط٢، الهند: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م).
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. «***المجمع المؤسِّس للمُعجم المفهرس***». تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي. (ط١، دار المعرفة - بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م).
- الخطيب، عبد الكريم يونس. «***التفسير القرآني للقرآن***». (د.ط، القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت).
- الدَّاودي، محمد بن علي. «***طبقات المفسرين***». (د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).
- ذيبان، أحمد بن محمد. «***شرح ألفية ابن مالك لابن هانئ، سري الدين إسماعيل بن محمد بن محمد بن علي اللخمي الغرناطي الأندلسي المالكي***». رسالة دكتوراه. (مكة المكرمة: جامعة أم القرىٰ، كلية اللغة العربية، ١٤١٤ه-١٩٩٤م).
- الرَّازي، محمد بن عمر. «***مفاتيح الغيب***». (ط٣، بيروت: دارُ إحياءِ التراثِ العربيِّ، ١٤٢٠هـ).
- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد. «***الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة***». تحقيق: أبو اليزيد أبو زيد العجمي. (د.ط، القاهرة، دار السلام، ١٤٢٨ هـ-٢٠٠٧م).
- ريحان، خديجة عصام. «***الاحتباك وأثره في بيان المعنىٰ في كتاب نَظْم الدُّرر للبقاعيِّ -جمعًا ودراسةً- مِن أوَّل سورة السَّجدة إلىٰ آخر القرآن***». رسالة دكتوراه. (مكة المكرمة: جامعة أمِّ القرىٰ).
- ريحان، زينب عصام. «***الاحتباك وأثره في بيان المعنىٰ في كتاب نَظْم الدُّرر للبِقاعيِّ -جمعًا ودراسة- من أوَّل القرآن إلىٰ نهاية سورة لُقمان***». رسالة دكتوراه. (مكة المكرمة: جامعة أم القرىٰ، ١٤٤٤هـ-٢٠٢٢م).
- الزبيريُّ، وليد بن أحمد الحسين، وآخرون. «***الموسوعة الميسَّرة في تراجم أئمَّة التَّفسير والإقراء والنَّحو واللُّغة (من القرن الأول إلىٰ المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائفهم)***». (ط١، مانشستر - بريطانيا: مجلة الحكمة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).
- الزركشي، محمد بن عبد الله. «***البرهان في علوم القرآن***». تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (ط١، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م).

- الزِرِكلي، خير الدين بن محمود. «**الأعلام**». (ط١٥، د.م، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م).
- الزمخشري، محمود بن عمرو. «**الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**». (ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ).
- السُجلماسيُّ، القاسم الأنصاري. «**المنزعُ البديعُ في تجنيس أساليب البديع**». تحقيق: علال الغازي. (ط١، الرباط - المغرب: مكتبة المعارف، ١٤٠١ه- ١٩٨٠م).
- السخاويُّ، محمد بن عبد الرحمن. «**الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**». (د.ط، بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت).
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. «**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**». تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م).
- السفاريني، محمد بن أحمد. «**لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية**». (ط٢، دمشق: مؤسسة الخافقين، ١٤٠٢ هـ- ١٩٨٢م).
- السمعانيُّ، منصور بن محمد. «**تفسير القرآن**». تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم. (ط١، الرياض: دار الوطن، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م).
- السيوطيُّ، عبد الرحمن بن أبي بكر. «**الإتقان في علوم القرآن**». تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم. (د.ط، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م).
- السيوطيُّ، عبد الرحمن بن أبي بكر. «**بُغية الوعاة في طبقات اللغويين والنُّحاة**». تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (د.ط، لبنان: المكتبة العصرية، د.ت).
- الشنقيطيُّ، محمد الأمين. «**العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ**». تحقيق: خالد بن عثمان السبت. (ط٢، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ١٤٢٦هـ).
- الشوكانيُّ، محمد بن علي. «**البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**». (بيروت: د.ط، دار المعرفة، د.ت).
- الشوكانيُّ، محمد بن علي. «**فتح القدير**». (ط١، دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ١٤١٤هـ).

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

- الصاحب الكافي، إسماعيل بن عباد. «***المحيط في اللغة***». تحقيق: محمد حسن آل ياسين. (ط١، بيروت: عالم الكتب، ١٤١٤ه -١٩٩٤م).
- الطبريُّ، محمد بن جرير. «***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***». تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي (ط١، مصر: دار هجر، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).
- الطيبي، الحسين بن عبد الله. «***فتوح الغيب في الكشف عن قِناع الرَّيْب***». تحقيق: جميل بني عطا. (د.ط، دبي - الإمارات: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م).
- ابن عاشور، محمد الطاهر. «***تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد***». (د.ط، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ).
- عبد القاهر الجرجاني، أبو بكر بن عبد الرحمن. «***دلائل الإعجاز في علم المعاني***». تحقيق: محمود محمد شاكر. (ط٣، القاهرة: مطبعة المدني - جدة: دار المدني، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م).
- العثيمين، محمد بن صالح. «***تفسير جزء عم***». تحقيق: فهد بن ناصر السليمان. (ط٢، الرياض: دار الثريا للنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م).
- ابن عرفة، محمد بن محمد الورغمي، تفسير الإمام ابن عرفة، تحقيق: جلال السيوطي. (ط١، بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨م).
- ابن عرفة، محمد بن محمد الورغمي، تفسير الإمام ابن عرفة، تحقيق: محمد حوالة. (ط١، بيروت - لبنان: دار ابن حزم، ١٤٣٦ه-٢٠١٥م).
- ابن عرفة، محمد بن محمد الورغمي. «***المختصر في المنطق***». المكتبة الشاملة.
- ابن عطية، عبد الحق بن غالب. «***المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز***». تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ).
- ابن فارس، أحمد بن زكرياء. «***معجم مقاييس اللغة***». تحقيق: عبد السَّلام محمد هارون. (د.ط، بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ).
- الفاسيُّ، محمد بن أحمد. «***ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد***». تحقيق: كمال يوسف الحوت. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م).

- الفراهيديُّ، الخليل بن أحمد. «***العين***». تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي. (د.ط، دار ومكتبة الهلال، د.ت).
- ابن القاضي، أحمد بن محمّد المكناسي. «***ذيل وفيات الأعيان (دُرَّة الحِجَال في أسماء الرِّجال)***». تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور. (ط١، القاهرة: دار التراث، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م).
- القرطبيُّ، محمد بن أحمد. «***الجامع لأحكام القرآن***». تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. (ط٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م).
- القشيريُّ، عبد الكريم بن هوازن. «***لطائف الإشارات***». تحقيق: إبراهيم البسيوني. (ط٣، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ت).
- كحالة، عمر بن رضا. «***معجم المؤلفين***». (بيروت: مكتبة المثنى - دار إحياء التراث العربي، د.ت).
- الكفويُّ، أيوب بن موسى. «***الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية***». تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري. (د.ط، بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ت).
- الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد. «***تأويلات أهل السنة***». تحقيق: مجدي باسلوم. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م).
- ابن مالك، محمد بن عبد الله. «***ألفية ابن مالك***». (د.ط، د.م، دار التعاون، د.ت).
- محفوظ، محمد. «***تراجم المؤلِّفين التُّونسيِّين***». (ط٢، بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٤م).
- مسلم بن الحجاج النيسابوريِّ. «***صحيح مسلم***». تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت).
- المطعنيُّ، عبد العظيم إبراهيم. «***خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية***». (ط١، د.م، مكتبة وهبة، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م).
- مكي بن أبي طالب، ابن محمد بن مختار القيسي. «***الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه***». (ط١، الإمارات: جامعة الشارقة، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م).

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

- المنذريُّ، حسن بن علي. «***فتح القريب المجيب على التَّرغيب والتَّرهيب***». تحقيق: محمد إسحاق آل إبراهيم. (ط١، الرياض: مكتبة دار السلام، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م).
- الميداني، عبد الرحمن بن حسن حبنكة. «***البلاغة العربية***». (ط١، دمشق: دار القلم - بيروت: الدار الشامية، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م).
- النسْفيُّ، عمر بن محمد. «***التَّيسير في التَّفسير***». تحقيق ماهر أديب حبوش وآخرين. (ط١، إسطنبول - تركيا: دار اللباب، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩ م).
- النيفر، محمد الشاذلي. «***عنوان الأريب عما نشأ في البلاد التونسية من عالم أديب***». (د.ط، بيروت: دار الغرب الإسلامي، د.ت).
- الهرويُّ، محمد بن أحمد الأزهري. «***تهذيب اللغة***». تحقيق: محمد عوض مرعب. (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م).
- الواحديُّ، علي بن أحمد. «***التفسير البسيط***». (ط١، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠هـ).

رُومَنَةُ المَصَادِرِ وَالمَرَاجِعِ العَرَبِيَّة

- Abū al-Sa'ūd, Muḥammad ibn Muḥammad, ***"Irshād al-'aql al-salīm ilá mazāyā al-Kitāb al-Karīm"***, (n.e., Beirut: Dar Ihya al-Turath al-Arabi, n.d).
- Abū Ḥayyān, Muḥammad ibn Yūsuf, ***"al-Baḥr al-muḥīṭ fī al-tafsīr"***, Investigated by: Ṣidqī Muḥammad Jamīl, (n.e., Beirut: Dar al-Fikr, 1420).
- Abū 'Ubayd, al-Qāsim ibn Sallām, ***"Gharīb al-ḥadīth"***, Investigated by: Ḥusayn Muḥammad Sharaf, (1st ed., Cairo: al-Hay'ah al-'Āmmah li-Shu'ūn al- Alamiria Press, 14041984-).
- Ibn Abī al-Ṣafā', Zayn al-Dīn 'Abd al-Bāsiṭ. ***"Nayl al-Amal fī Dhayl al-Duwal"***. Investigated by: 'Umar 'Abd al-Salām Tadmurī, (1st ed., Beirut: Al-Maktabah al-'Aṣrīyah, 14222002-).
- Al-Alūsī, ***"Rūḥ al-ma'ānī fī tafsīr al-Qur'ān al-'Aẓīm wa-al-Sab' al-mathānī"***, Maḥmūd ibn Abdullah, Investigated by: 'Alī Abdul-Bārī 'Aṭīyah, (1st ed., Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah, 1415).
- Al-bāḥith, 'uḍw Multaqá ahl al-ḥadīth, ***"al-wafayāt wa-al-aḥdāth"***, (n.e., n.p., D. N, 1431).
- Al-Bukhārī, Muḥammad ibn Ismā'īl, ***"Ṣaḥīḥ al-Bukhārī"***, Investigated by: Muḥammad Zuhayr, (1st ed., Dar Ṭawq al-najāh 1422).
- Al-Basīlī, Abūel-'Abbās al-Tūnisī, ***"Nukat wa-tanbīhāt fī tafsīr al-Qur'ān al-Majīd"***, Investigated by: Muḥammad al-Ṭabarānī, (1st ed., Casablanca: Al-Najah New Press, 14292008-).
- Al-Basīlī, Aḥmad ibn Muḥammad, ***"al-Taqyīd al-kabīr fī tafsīr Kitāb Allāh al-Majīd"***, (n.e., Riyadh: Imam Muhammad ibn Saud Islamic University, n.d).
- Al-Baghdādī, Abdul-Qādir ibn 'Umar, ***"Khizānat al-adab wa-lubb Lubāb Lisān al-'Arab"***, Investigated by: Abdul-Salām Muḥammad Hārūn, (4th ed., Cairo: Maktabat al-Khānjī, 14181997-).

معتمدة في معامل أرسيف لعام 2024
DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

- Al-Baghawī, al-Ḥusayn ibn Mas‘ūd, ***“Ma‘ālim al-tanzīl fī tafsīr al-Qur’ān”***, Investigated by: Muḥammad Abdullah al-Nimr-‘Uthmān Jum‘ah Ḍumayrīyah-Sulaymān Muslim al-Ḥarsh, (4th ed., n.p., Dar Ṭaybah lil-Nashr wa-al-Tawzī‘, 14171997-).

- Al-Biqā‘ī, Ibrāhīm ibn ‘Umar, ***“naẓm al-Durar fī tanāsub al-āyāt wa-al-suwar”***, (n.e., Cairo: Dar al-Kitāb al-Islāmī, n.d).

- Ibn al-binā’, Aḥmad ibn Muḥammad, ***“al-Rawḍ almry‘ fī ṣinā‘at al-Badī‘”***, Investigated by: Muḥammad Abdul-Wārith, (1st ed., Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah, 2013).

- Al-Bayḍāwī, Abdullah ibn ‘Umar, ***“Anwār al-tanzīl wa-asrār al-ta’wīl”***, Investigated by: Muḥammad Abdul-Raḥmān al-Mar‘ashlī, (1st ed., Beirut: Dar Ihya al-Turath al-Arabi, 1418).

- Ibn Tghry Bardī, Yūsuf ibn Abdullah, ***“al-nujūm al-Zāhirah fī mulūk Miṣr wa-Cairo”***, (n.e., Egypt: Dar Al-Kotob, n.d).

- Al-Tunbuktī, Aḥmad Bābā ibn Aḥmad ***“Nayl al-ibtihāj bi-taṭrīz al-Dībāj”***, Investigated by: Abdul-Ḥamīd Abdullah al-Harāmah, (2nd ed., n.e. Tripoli- Libya: Dar al-Katib, 2000).

- Al-Tha‘labī, Aḥmad ibn Ibrāhīm, ***“al-kashf wa-al-bayān ‘an tafsīr al-Qur’ān”***, Investigated by: A group of scholars. (1st ed., Jeddah: Dar al-tafsīr, 14362015-).

- Al-Jurjānī, ‘Alī ibn Muḥammad, ***“alt‘ryfāt”***, Investigated by: Jamā‘at min al-‘ulamā’, (1st ed., Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah, 1st ed. 1403-1983).

- Al-Janājī, Ḥasan ibn Ismā‘īl, ***“alnnaẓm al-balāghī bayna alnnaẓryh wālttaṭbyq”***, (1st ed., Cairo: Dar al-Ṭibā‘ah al-Muḥammadīyah, 1403-1983).

- Ibn Juzayy, Muḥammad ibn Aḥmad, ***“al-Tas'hīl li-‘Ulūm al-tanzīl”***, Investigated by: al-Duktūr Abdullah al-Khālidī, (1st ed., Beirut: Al-Arqam Ibn Abī Al-Arqam Publishing, 1416).

- Ibn al-Jawzī, Abdul-Raḥmān ibn ‘Alī, ***“Tadhkirat al-arīb fī tafsīr al-Gharīb (Gharīb al-Qur’ān al-Karīm)”***, Investigated by: Ṭāriq Fatḥī al-Sayyid, (1st ed., Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah, 14252004-).

- Al-Jawharī, Ismā'īl ibn Ḥammād, ***"al-ṣiḥāḥ Tāj al-lughah wa-ṣiḥāḥ al-'Arabīyah"***, Investigated by: Aḥmad Abdul-Ghafūr 'Aṭṭār, (4th ed., Beirut: Dar al-Ilm lil-Malayin).

- Ḥājjī Khalīfah, Muṣṭafá ibn Abdullah, ***"Sullam al-wuṣūl ilá Ṭabaqāt al-fuḥūl"***, Investigated by: Maḥmūd Abdul-Qādir al-Arnā'ūṭ, (n.e., Isṭanbūl-Turkiyā: Maktabat Irsīkā, 2010).

- Ibn Ḥajar al-'Asqalānī, Aḥmad ibn 'Alī. ***"al-Durar alkāmnh fī a'yān al-mi'ah al-thāminah"***. (2nd ed., India: Dā'irat al-Ma'ārif al-'Uthmānīyah, 13921972-).

- Ibn Ḥajar al-'Asqalānī, Aḥmad ibn 'Alī, ***"al-Majma' alm'ssis llmu'jm almfhrs"***, Investigated by: Yūsuf Abdul-Raḥmān al-Mar'ashlī, (1st ed., Dar al-Ma'rifah- Beirut, 14131992-).

- Al-Khaṭīb, Abdul-Karīm Yūnus, ***"al-tafsīr al-Qur'ānī lil-Qur'ān"***, (n.e., Cairo: Dar al-Fikr al-'Arabī, n.d).

- Alddāwdy, Muḥammad ibn 'Alī, ***"Ṭabaqāt al-mufassirīn"***, (n.e., Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah, n.d).

- Dhībān, Aḥmad ibn Muḥammad, ***"sharḥ Alfīyat Ibn Mālik li-Ibn Hāni', Sarī al-Dīn Ismā'īl ibn Muḥammad ibn Muḥammad ibn 'Alī al-Lakhmī al-Gharnāṭī al-Andalusī al-Mālikī"***, Risālat duktūrāh, (Makkah: Umm al-Qura University, College of Arabic Language, 14141994-).

- Al-Rāzī, Muḥammad ibn 'Umar, ***"Mafātīḥ al-ghayb"***, (3rd ed., Beirut: Dar Ihya al-Turath al-Arabi, 1420).

- Al-Rāghib al-Aṣfahānī, al-Ḥusayn ibn Muḥammad, ***"al-Dharī'ah ilá Makārim al-sharī'ah"***, Investigated by: Abū al-Yazīd Abū Zayd al-'Ajamī, (n.e., Cairo, Dar al-Salām, 14282007-).

- Rayḥān, Khadījah 'Iṣām, ***"alāḥtbāk wa-atharuhu fī bayān alm'ná fī Kitāb naẓm alddurr llbqā'y-jam'an wdrāsṭan-min awwal Sūrat alssajdh ilá ākhir al-Qur'ān"***, Risālat duktūrāh, (Makkah: Umm al-Qura University).

- Rayḥān, Zaynab 'Iṣām. ***"alāḥtbāk wa-atharuhu fī bayān alm'ná fī Kitāb naẓm alddurr llbiqā'y-jam'an wdrāsṭ-min awwal al-Qur'ān ilá nihāyat Sūrat luqmān"***. Risālat duktūrāh. (Makkah: Umm al-Qura University, 14442022-).

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

- Al-Zubayrī, Walīd ibn Aḥmad al-Ḥusayn, wa-ākharūn. ***"al-Mawsū'ah almyssarh fī tarājim a'mmah alttafsyr wa-al-iqrā' wālnnaḥw wālllughh (min al-qarn al-Awwal ilá al-mu'āṣirīn ma'a dirāsah li-'aqā'idihim wa-shay' min ṭarā'ifihim)"***. (1st ed., Manchester - Britain: Majallat al-Ḥikmah, 14242003-).

- Al-Zarkashī, Muḥammad ibn Abdullah. ***"al-burhān fī 'ulūm al-Qur'ān"***. Investigated by: Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm. (1st ed., Cairo: Dar Ihya'a al-Kotob al-Arabiyah, 13761957-).

- Al-Ziriklī, Khayr al-Dīn ibn Maḥmūd. ***"al-A'lām"***. (15th ed., n.p., Dar al-Ilm lil-Malayin, 2002).

- Al-Zamakhsharī, Maḥmūd ibn 'Amr. ***"al-Kashshāf 'an ḥaqā'iq ghawāmiḍ al-tanzīl"***. (3rd ed., Beirut: Dar al-Kitāb al-'Arabī, 1407).

- Al-Sijilmāsī, al-Qāsim al-Anṣārī. ***"al-Manza' al-Badī' fī tjnys Asālīb al-Badī'"***. Investigated by: 'Allāl al-Ghāzī. (1st ed., Rabat city - Morocco: Al-Ma'arif Bookstore, 1401-1980).

- Al-Sakhāwī, Muḥammad ibn Abdul-Raḥmān. ***"al-ḍaw' al-lāmi' li-ahl al-qarn al-tāsi'"***. (n.e., Beirut: Dar Maktabat al-ḥayāh, n.d).

- Al-Sa'dī, Abdul-Raḥmān ibn Nāṣir. ***"Taysīr al-Karīm al-Raḥmān fī tafsīr kalām al-Mannān"***. Investigated by: Abdul-Raḥmān ibn Mu'allā al-Luwayḥiq. (1st ed., Beirut: Al-Risalah Foundation, 1420-2000).

- Al-Saffārīnī, Muḥammad ibn Aḥmad. ***"Lawāmi' al-anwār al-bahīyah wa-sawāṭi' al-asrār al-Atharīyah li-sharḥ al-Durrah al-muḍīyah fī 'aqd al-firqah al-marḍīyah"***. (2nd ed. Damascus: Al-Khafekeen Foundation, 1402-1982).

- Al-Sam'ānī, Manṣūr ibn Muḥammad. ***"tafsīr al-Qur'ān"***. Investigated by: Yāsir ibn Ibrāhīm wghnym ibn 'Abbās ibn Ghunaym. (1st ed., Riyadh: Dar al-waṭan, 1418-1997).

- Al-Suyūṭī, Abdul-Raḥmān ibn Abī Bakr. ***«al-Itqān fī 'ulūm al-Qur'ān»***. Investigated by: Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm. (n.e., Egypt: Egyptian General Book Authority, 13941974-).

- Al-Suyūṭī, Abdul-Raḥmān ibn Abī Bakr. ***«Bughyat al-wu'āh fī Ṭabaqāt al-lughawīyīn wa-al-nuḥḥāh»***. Investigated by: Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm. (n.e., Lebanon: Al-asriabookstore, n.d).

- Al-Shinqīṭī, Muḥammad al-Amīn. ***«al‘adhbu alnnamīru min majālisi alshshanqīṭīyi fī alttafsīr»***. Investigated by: Khālid ibn ‘Uthmān al-Sabt. (2nd ed. Dar ‘Alam al-Fawā’id, Makkah, 1426).
- Al-Shawkānī, Muḥammad ibn ‘Alī. ***“al-Badr al-ṭāli‘ bi-maḥāsin min ba‘da al-qarn al-sābi‘”***. (Beirut: n.e., Dar al-Ma‘rifah, n.d).
- Al-Shawkānī, Muḥammad ibn ‘Alī. ***«Fatḥ al-qadīr»***. (1st ed., Damascus, Beirut: Dar Ibn Kathīr, Dar al-Kalim al-Ṭayyib, 1414).
- Al-Ṣāḥib al-Kāfī, Ismā‘īl Ibn ‘Abbād. ***«al-muḥīṭ fī al-lughah»***. Investigated by: Muḥammad Ḥasan Āl Yāsīn. (1st ed., Beirut: ‘Ālam al-Kutub, 14141994-).
- Al-Ṭabarī, Muḥammad ibn Jarīr. ***«Jāmi‘ al-Bayān ‘an Ta’wīl āy al-Qur’ān»***. Investigated by: Abdullah ibn Abdul-Muḥsin al-Turkī (1st ed., Egypt: Dar Hajar, 14222001-).
- Al-Ṭībī, al-Ḥusayn ibn Abdullāh. ***«Fattūḥ al-ghayb fī al-kashf ‘an qinā‘ alrrayb»***. Investigated by: Jamīl Banī ‘Aṭā. (n.e., Dubai - Emirates: Dubai International Holy Quran Award, 14342013-).
- Ibn ‘Āshūr, Muḥammad al-Ṭāhir, ***“taḥrīr al-ma‘ná al-sadīd wa-tanwīr al-‘aql al-jadīd min tafsīr al-Kitāb al-Majīd”***, (n.e., Tunisia: Tunisian Publishing House, 1984).
- Abdul-Qāhir al-Jurjānī, Abū Bakr ibn Abdul-Raḥmān. ***«Dalā’il al-i‘jāz fī ‘ilm al-ma‘ānī»***. Investigated by: Maḥmūd Muḥammad Shākir. (3rd ed., Cairo: al-madani press- Jeddah: Dar al-madani, 14131992-).
- Al-‘Uthaymīn, Muḥammad ibn Ṣāliḥ. ***«tafsīr Juz’ ‘Amma»***. Investigated by: Fahd ibn Nāṣir al-Sulaymān. (2nd ed., Riyadh: Dar al-Thurayyā lil-Nashr wa-al-Tawzī‘, 14232002-).
- Ibn ‘Arafah, Muḥammad ibn Muḥammad al-Warghamī, tafsīr al-Imām Ibn ‘Arafah, Investigated by: Jalāl al-Suyūṭī, (1st ed., Beirut - Lebanon: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah, 2008).
- Ibn ‘Arafah, Muḥammad ibn Muḥammad al-Warghamī, tafsīr al-Imām Ibn ‘Arafah, Investigated by: Muḥammad Ḥiwālat, (1st ed., Beirut - Lebanon: Dar Ibn Ḥazm, 14362015-).

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

- 1Ibn ‘Arafah, Muḥammad ibn Muḥammad al-Warghamī, ***“almkhtṣr fī almnṭq”***, al-Maktabah al-shāmilah.
- Ibn ‘Aṭīyah, Abdul-Ḥaqq ibn Ghālib, ***“al-muḥarrir al-Wajīz fī tafsīr al-Kitāb al-‘Azīz”***, Investigated by: Abdul-Salām Abdul-Shāfī Muḥammad, (1st ed., Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah, 1422).
- Ibn Fāris, Aḥmad ibn Zakarīyā’, ***“Mu‘jam Maqāyīs al-lughah”***, Investigated by: Abdulssalām Muḥammad Hārūn, (n.e., Beirut: Dar al-Fikr, 1399).
- Al-Fāsī, Muḥammad ibn Aḥmad. ***«Dhayl al-Taqyīd fī ruwāt al-sunan wa-al-asānīd»***. Investigated by: Kamāl Yūsuf al-Ḥūt. (1st ed., Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah, 14101990-).
- Al-Farāhīdī, al-Khalīl ibn Aḥmad. ***«al-‘Ayn»***. Investigated by: Mahdī al-Makhzūmī, Ibrāhīm al-Sāmarrā’ī. (n.e., Dar wa-Maktabat al-Hilāl, n.d).
- Ibn al-Qāḍī, Aḥmad ibn Muḥammad al-Miknāsī, ***“Dhayl wafayāt al-a‘yān (durrah alḥijāl fī Asmā’ alrrijāl)”***, Investigated by: Muḥammad al-Aḥmadī Abū al-Nūr, (1st ed., Cairo: Dar al-Turath, 13911971-).
- Al-Qurṭubī, Muḥammad ibn Aḥmad. ***«al-Jāmi‘ li-aḥkām al-Qur’ān»***. Investigated by: Aḥmad al-Baraddūnī wa-Ibrāhīm Aṭṭafayyish. (2nd ed., Cairo: Daral-Kutub al-Miṣrīyah, 13841964-).
- Al-Qushayrī, Abdul-Karīm ibn Hawāzin. ***«Laṭā’if al-Ishārāt»***. Investigated by: Ibrāhīm al-Basyūnī. (3rd ed., Egypt: Egyptian General Book Authority, n.d).
- Kaḥḥālah, ‘Umar ibn Riḍā. ***«Mu‘jam al-mu’allifīn»***. (Beirut: Maktabat almthná-Dar Ihya al-Turath al-Arabi, n.d).
- Al-Kaffawī, Ayyūb ibn Mūsá. ***«al-Kullīyāt Mu‘jam fī al-muṣṭalaḥāt wa-al-furūq al-lughawīyah»***. Investigated by: ‘Adnān Darwīsh-Muḥammad al- Egypt. (n.e., Beirut: Al-Risalah Foundation, n.d).
- Al-Māturīdī, Abū Manṣūr Muḥammad ibn Muḥammad. ***“Ta’wīlāt ahl al-Sunnah”***. Investigated by: Majdi Baslum. (1st ed., Beirut: Dar al-Kotob al-‘Ilmīyah, 14262005-).
- Ibn Mālik, Muḥammad ibn Abdullah, ***«Alfīyat Ibn Mālik»***, (n.e., n.p., Dar al-Ta‘awun, n.d).

- Maḥfūẓ, Muḥammad. ***«tarājim alm'llifyn alttūnsyyīn»***. (2nd ed. Beirut, Lebanon: Islamic West Publishing House, 1994).
- Muslim ibn al-Ḥajjāj al-Nīsābūrī. ***«Ṣaḥīḥ Muslim»***. Investigated by: Muḥammad Fu'ād Abdul-Bāqī. (n.e., Beirut: Dar Ihya al-Turath al-Arabi, n.d).
- Al-Maṭ'anī, Abdul -'Aẓīm Ibrāhīm. ***«Khaṣā'iṣ al-ta'bīr al-Qur'ānī wa-simātuh al-balāghīyah»***. (1st ed., n.p., Maktabat Wahbah, 14131992-).
- Makkī ibn Abī Ṭālib, Ibn Muḥammad ibn Mukhtār al-Qaysī. ***«al-Hidāyah ilá Bulūgh al-nihāyah fī 'ilm ma'ānī al-Qur'ān wa-tafsīruh, wa-aḥkāmuhu, wa-jumal min Funūn 'ulūmuhu»***. (1st ed., UAE: al-University of Sharijah , 14292008-).
- Al-Mundhirī, Ḥasan ibn 'Alī. ***«Fatḥ al-qarīb almjyb 'alá alttarghyb wālttarhyb»***. Investigated by: Muḥammad Isḥāq Āl Ibrāhīm. (1st ed., Riyadh: Maktabat Dar al-Salām, 14392018-).
- Al-Maydānī, Abdul -Raḥmān ibn Ḥasan Ḥabannakah. ***«al-balāghah al-'Arabīyah»***. (1st ed., Damascus: Dar alqlm-Beirut: al-Dar al-Shāmīyah, 1416 h-1996).
- Al-Nasafī, 'Umar ibn Muḥammad. ***«alttaysyr fī alttafsyr»***. Investigated by: Māhir Adīb Ḥabūsh wa-ākharīn. (1st ed., astnbwl-Turkiyā: Dar al-Lubāb, 14402019-).
- Al-Nayfar, Muḥammad al-Shādhilī. ***«'unwān al-arīb 'ammā nasha'a fī al-bilād al-Tūnisīyah min 'Ālam Adīb»***. (n.e., Beirut: Dar al-Gharb al-Islāmī, n.d).
- Al-Harawī, Muḥammad ibn Aḥmad al-Azharī. ***«Tahdhīb al-lughah»***. Investigated by: Muḥammad 'Awaḍ Mur'ib. (1st ed., Beirut: Dar Ihya al-Turath al-Arabi, 2001).
- Al-Wāḥidī, 'Alī ibn Aḥmad. ***"al-tafsīr al-basīṭ"***. (1st ed., Imam Muhammad ibn Saud Islamic University, 1430).

معتمدة في معامل أرسيف لعام 2024
DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

فهرسُ الموضُوعَاتِ

المستخلص ٣٥٣

المقدمة ٣٥٩

التَّمهيد: التَّعريف بمصطلح حذف التَّقابُل في اللُّغة والاصطلاح وبيان مرادفاته عند أهل العلم ٣٦٤

المبحثُ الأوَّلُ: التَّعريفُ بابْنِ عرفةَ ومنهجِهِ في إيرادِ حذفِ التَّقابُلِ ٣٧٢

المطلبُ الأوَّل: التَّعريفُ بابْنِ عرفةَ ٣٧٢

المطلبُ الثَّاني: منهجُ ابنِ عرفةَ في إيرادِ حذفِ التَّقابُل ٣٧٩

المبحثُ الثَّاني: شواهدُ ورودِ هذا الأسلوبِ البلاغيِّ عند ابنِ عرفةَ ٣٨٤

سورةُ البقرة ٣٨٤

سورة آل عمران ٣٩٠

سورة النِّساء ٤٠١

سورة المائدة ٤٠٣

سورةُ الأنعامِ ٤٠٨

سورة الأعراف ٤١٠

سورة يونس ٤١٨

سورة الرَّعْد ٤٢٠

سورةُ الحجِّ ٤٢٣

سورةُ الشُّعراءِ ٤٢٥

سورة النَّمل ٤٢٧

سورةُ الأحزابِ ٤٢٩

سورةُ سبأ ٤٣٢
سورةُ يس ٤٣٤
سورةُ الزُّمَر ٤٣٩
سورةُ فُصِّلت ٤٤٢
سورةُ القيامةِ ٤٤٣
سورةُ الجنِّ ٤٤٥
سورةُ الإنسانِ ٤٤٧
سورةُ الانفطارِ ٤٤٩
سورةُ الانشقاقِ ٤٥١
سورةُ القارعةِ ٤٥٢
الخاتمةُ ٤٥٥
ثبت المصادرِ والمراجعِ ٤٥٧
رومنة المصادر والمراجع العربية ٤٦٤
فهرس الموضوعات ٤٧١

معتمدة في معامل أرسيف لعام 2024
DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642

TADABBUR JOURNAL

Office Khibrat Taibah
or research and studie

Refereed Scientific Biannual Journal specialized in the Arbitration and Publication of the Researches and Studies related to the Areas of Meditating on the Holy Qur'an

.Issue NO.(18), Volume (9), Year 9 / Rajab 1446 AH, corresponding to January 2025

(Issn-L): 1658-7642

Certified in Arab Citation & ImpactFactor «Arcif» (2024)

Issue Topics

- The Sunnah of consideration in the Holy Qur'an and its educational effects
  Dr. Mahdi Majid Rizq Ahmed
- The Righteous and Reformers in the Quran
  mr. HASAN SALEH ABOOD ALJOHANI
- The impact of the Quran's purposes on Tafsir
  And practical examples from "Tafsir al-Manar" and "Tafsir al-Tahrir wa al-Tanwir"
  ms.Maymunah Abdul-Gader Suliman Al-Hifzi
- The Covering (Al-Ran) in the Quran: Its Concept, Causes, and Treatment
  - An Analytical Study -
  Dr. Jamal bin Muhaimid Al-Ruwaidi
- The Contrast in Surat An-Nahl: An Exegetic and Reflective Study
  Prof. Dr. Ahmed Mohamed Al-Sharqawi
- Hazf Attaqabul "Reciprocal Ellipsis" in the Explication
  of the Qur'an by Ibn Arfa' – Collection and Study–
  Dr. Khadijah Issam Rayhan & Dr. Zainab Issam Rayhan
- Report on an Academic Thesis Understanding the salaf's explenations
  in the Koran interpretation "a foundational study"
  Dr. aisha yaqub AL-abdullateef
- Report on a Scientific Book
  "Your Care for the Qur'an is the Beginning of a New Life."
  Authored by: ABDULRAHMAN Mohammed HASSAN ASIRI
- Report on the Conference "The Guidance of the Qur'an
  in Building Humanity (Guidance for Mankind)"
  Organizing Body: The Global Mecca Center
  for Qur'anic Guidance, Makkah Al-Mukarramah.

25 SR
1658-7642

ISSN